الإسلام اليوم

مجلة دورية تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ
باللغات الثلاث : العربية ـ الإنجليزية ـ الفرنسية

العدد الثامن والعشرون
السنة السابعة والعشرون
1433 هـ / 2012 م

مجلة دورية تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ
باللغات الثلاث : العربية ـ الإنجليزية ـ الفرنسية

- العنوان : شارع الجيش الملكي ، حي الرياض ، ص . ب : 2275 ،
  الرمز البريدي : 10104 ، **الرباط ، المملكة المغربية**
- البريد الإلكتروني : **isesco@isesco.org.ma**
- الهاتف : **+ (212) 05 37 56 60 52 / 05 37 56 60 53**
- الفاكس : **+ (212) 05 37 56 60 12 / 05 37 56 60 13**
- فاكس قسم الإعلام : **+ (212) 05 37 71 53 27 / 05 37 71 47 21**
- البريد الإلكتروني لقسم الإعلام : **press@isesco.org.ma**

ثمن العدد في دولة المقر : **60 درهماً** . وفي جميع الأقطار : **10** $

رقم الإيداع القانوني : 28 – 1983
رقم التسلسل الدولي الموحد : ISSN 0851 – 1128

التصفيف والتوضيب في قسم الإعلام ووحدة التصوير الطباعي في الإيسيسكو
والترجمة في قسم الترجمة بالإيسيسكو
السحب : مطبعة الإيسيسكو ـ الرباط ـ المملكة المغربية

المقالات المنشورة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي الإيسيسكو

رؤية إسلامية إلى المواطَنة :
مواطَنة المسلم في مجتمع غير إسلامي

الدكتو يوسف القرضاوي (*)

نتحدث في هذا البحث عن "**المواطنة**" بخصوص المسلمين في غير المجتمع الإسلامي . أعني : الأقليات المسلمة ، التي تعيش في أوروبا وأمريكا والشرق الأقصى وأفريقيا وغيرها . وخصوصاً إذا كان هؤلاء المسلمون من أصول مهاجرة آسيوية أو إفريقية .

فكيف ينظر أهل البلاد إلى هؤلاء المسلمين ، ولاسيما الذين حصلوا على جنسية هذه البلاد ؟ ، هل يعتبرونهم غرباء عنهم ، أو دخلاء عليهم ، أجانب منهم ، وإن حملوا جنسية البلاد ؟ ، أو يعتبرونهم مواطنين ، لهم ما لهم من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات ، وإن كانوا مخالفين لهم في الدين أو في الأصل أو في اللون ؟ .

وكيف ينظر المسلمون أنفسهم إلى موقفهم من المجتمع الذي يعيشون فيه : هل يعتبرون أنفسهم جزءاً منه ، أو ما زالوا يعدّون أنفسهم غرباء عنه؟ ، هل ينعزلون عن المجتمع ويحيَون وحدهم ، منغلقين على أنفسهم ؟ ، أو يندمجون في المجتمع ويتفاعلون معه ، ويؤثّرون فيه ، ويتأثَّرون به ؟ .

لبيان الإجابة عن هذه الأسئلة : يجب علينا توضيح الحقائق التالية ، أو الأحكام الشرعية التالية :

1. **حكم الإقامة في بلاد غير المسلمين.**
2. **حكم التجنُّس بجنسية دولة غير إسلامية.**
3. **فإذا جازت الإقامة والتجنُّس، وكان كلاهما أمرًا مشروعًا، فما حكم الاندماج في المجتمع غير المسلم ؟.**
4. **وهل يشرع للمسلم أن يقبل "المواطنة" في هذا المجتمع، ويصبح واحدًا من أهل هذا الوطن في الحقوق والواجبات، أو لا يحلّ له أن يعطي هذا الوطن الجديد: ولاءه وانتماءه، ويحمل همَّ ازدهاره وتقدُّمه والدفاع عنه في مواجهة أيِّ عدوان عليه، ولو كان ذلك العدوان من بلد إسلامي ؟.**

(*) رئيس الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين ، ورئيس مركز دراسات السنة والسيرة في الدوحة .

5 . ثم ما الموقف إذا كانت الأقلية المسلمة تريد الاندماج في أهل البلد، وأهل البلد يضيِّقون عليهم، ولا يقبلونهم شركاء لهم، ويعاملونهم معاملة الدخلاء عليهم ؟.

حكم الإقامة في بلد غير إسلامي :

أما حكم الإقامة في بلد غير إسلامي ، فهذا يختلف باختلاف حال أهل هذا البلد ، وموقفه من الإسلام والمسلمين .

فمن البلاد ما يضطهد المتدينين عامَّة ، ويقف من الدين موقف المعادي ، مثل البلاد الشيوعية أيام سطوتها ، والتي تقوم فلسفتها على الإلحاد وجحود الإلوهية والنبوة والآخرة ، وتقول : لا إله والحياة مادة فحسب . وتعلن أن الدين أفيون الشعوب ؛ فهي تصادم الأديان جميعاً ، وتخصُّ الإسلام بمزيد من العداوة والنقمة ، لأنه دين جهاد ونضال ، ويغذّي الشعوب بالأفكار الرافضة للشيوعية عقيدة ونظامًا ، ويطاردها بوصفها لوناً من الاستعمار الامبريالي .

فمَن كان من أهل البلاد من المسلمين ، فعليه أن يصبر ويصابر ويرابط ، ولا يفرِّط في دينه بكلّ ما يملك من قوَّة وطاقة ، ويعمل بأحكام الضرورة فيما لا طاقة له به ، معتبراً نفسه في حال إكراه واضطرار ، وقد قال تعالى : ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾ (النحل : 106) ﴿**فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (النحل : 115) .

وأما مَن أراد أن يهاجر إليها من بلد مسلم ، فهذا الذي نقول له : لا يحلُّ لك أن تترك بلدك المسلم ، الذي تستطيع أن تقيم فيه شعائرك ، وتؤدِّي عبادتك ، وتذهب إلى بلد يضيّق عليك ، ويضعك تحت المراقبة ، ولا يتيح لك العمل ــ كما تريد ــ بالإسلام ، ناهيك عن العمل للإسلام ، والدعوة إلى الإسلام .

وفي الحديث النبوي : «لا ينبغي لمؤمن أن يذلَّ نفسه» . قالوا : وكيف يذلُّ نفسه ، يا رسول اللَّه ؟ ، قال : «يحمّلها من البلاء ما لا تُطيق»[1] .

وإذا كان الإسلام يوجب على المسلم الهجرة من بلده الأصلي إذا ضُيِّق عليه فيه ، ولم يُمكَّن من إقامة أركانه ، وهو ما سمّاه القرآن "ظلم النفس" ، كما قال تعالى : ﴿**إِنَّ الذين توافَّاهُم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض اللَّه واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً(97) إلاَّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً (98) فأولئك عسى اللَّه أن يعفو عنهم وكان اللَّه عفواً غفوراً**﴾ (النساء : 97-99) .

(1) رواه أحمد (23444)

أقول : إذا كان يوجب الهجرة لمثل هذا من بلده ، فكيف يذهب مختاراً إلى بلد يظلم فيه نفسه ، ويُحرم من إقامة دينه ؟ .

وهناك بلاد يسود فيها مناخ الحرية : الحرية الدينية ، والحرية المدنية ، والحرية الفكرية ، والحرية السياسية ، وغيرها من الحريات ، ولا تتدخَّل في دين أحد ، بل تَدَع كلَّ إنسان وما اختار لنفسه ، وتلك هي البلاد الديمقراطية الليبرالية ، وإن اتَّخذتِ مبدأ العلمانية شعاراً لها . فالأصل في العلمانية أنها تقف من الدين موقفاً محايداً ، لا تؤيده ولا تعاديه ، بل تعدُّه أمراً شخصياً لكلّ فرد فيما بينه وبين ربّه ، الذي آمن به ، وتعبَّد له ، أياً كان هذا الرب أو الإله .

وهذا هو المناخ الذي كان سائداً في أوروبا وأمريكا طوال القرن العشرين ، والذي سمح باستقبال أفواج كبيرة بالملايين من بلاد العرب والمسلمين ، لأسباب شتَّى ، منها العمالة ، التي كانت أوربا في أمسّ الحاجة إليها ، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية .

وفي هذا المناخ لا أرى بأساً من هجرة المسلم إلى بلاد أوربا التي يدين أغلبها بالنصرانية (المسيحية) والإقامة فيها ، إذا كان ذلك لأهداف مشروعة ، مثل : العمل وكسب المعيشة ، حيث تضيق فرص العمل الملائم في بلده ، وتتَّسع في هذه البلاد ، فالسعي في طلب الرزق ، والمشي في مناكب الأرض ، مشروع للمسلم .

وقد استقبلت فرنسا وألمانيا وبريطانيا وغيرها ، الألوف ، بل الملايين للعمل في شتَّى نواحي الحياة ، من بلاد الشمال الإفريقي ، وغيرها من بلاد إفريقيا ، ومن تركيا ، ومن شبه القارة الهندية وغيرها .

وقد قال الشاعر :

بِلادُ اللَّهِ واسِعةٌ فضَاها وزرقُ اللَّهِ في الدُّنْيا فسِيحُ
فقلْ للقاعِدينَ على هَوانٍ إذا ضاقَتْ بكُمْ أرضٌ فَسيحوا

وقال تعالى : ﴿**وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل اللَّه**﴾ (المزمل : 20) .

ومثل طلب الرزق : طلب الأمن ، إذا كان يشعر في بلاده بالخوف على نفسه أن يسجن أو يعتقل أو يحاكم محاكمة عسكرية ظالمة ، أو الخوف على أهله وولده ، أو الخوف على ماله وأملاكه ، وقد رأى العبرة في أمثاله وقرنائه ، فأراد أن يبحث عن مكان يأمن فيه على دينه ونفسه وأهله وماله . فمن حق الإنسان أن يبحث عن أمنه وأمن أسرته ، فإن حاجة الإنسان إلى الأمن من الخوف ، كحاجته إلى الطعام من الجوع ، كما قال تعالى : ﴿**الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾ (قريش : 4) .

واعتبر القرآن الجوع والخوف شرَّ ما تبتلى به المجتمعات ، ﴿**فأذاقها اللَّه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**﴾ (النحل : 112) .

ولهذا حين استقبل يوسف عليه السلام أبويه وإخوته في مصر ، قال لهم : ﴿**ادخلوا مصر إن شاء اللَّه آمنين**﴾ (يوسف : 99) .

ومثل طلب الرزق ، وطلب الأمن : طلب الدراسة ، ولا سيما في التخصُّصات التي لا تتوافر في بلاد المسلمين ، وإذا توافرت كانت مستوياتها وإمكاناتها متواضعة ، فيذهب الطالب للدراسة ، ثم تحلو له الإقامة لسبب أو لآخر ، فيختار الإقامة في هذا البلد أو ذاك .

وكلُّ هذا يسوِّغ الإقامة في تلك البلاد ، بشرط ألا يخاف على دينه ودين أهله وذرِّيته من شيوع نزعة التحلل والإباحية في هذه المجتمعات ، وانتشار الموجة المادية التي تستخف بالأديان والإيمان بالغيب ، والاهتمام بالدار الآخرة . فمن وجد في هذه الديار خطرًا على دينه أو دين أولاده ، فلا تحلُّ له الإقامة هناك ، وإن كان يكسب فيها الملايين ، فما قيمة أن يكسب المسلم الدنيا ويخسر الدين؟ ، وما قيمة أن يربح الأموال ويفقد الأولاد ؟ .

وقد قلتُ في أواسط السبعينيات للإخوة المسلمين المهاجرين إلى أمريكا : إذا كنتم تحسون بخطر على دينكم أو دين ذراريكم ، فابدأوا رحلة العودة من الغد ، فليس هناك عند المسلم شيء أغلى وأعز من الدين . وقد قال تعالى : ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من اللَّه ورسوله، وجهاد في سبيله، فتربصوا حتى يأتي اللَّه بأمره، واللَّه لا يهدي القوم الفاسقين**﴾ (التوبة : 24) .

وأهم من الأهداف السابقة كلها : هدف من يهاجر ليقيم في تلك البلاد ، ابتغاء تبليغ دعوة الإسلام إلى أهلها ، امتثالاً لما أمر اللَّه به ورسوله من تبليغ الرسالة ، التي بلغها رسول الإسلام في حياته ، ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ (المائدة : 67) .

ونحن مأمورون أن نأتسي برسول اللَّه ، ونبلِّغ رسالته كما بلَّغها إلى الناس ، فالأمة مبعوثة بما بُعث به رسولها عليه الصلاة والسلام ، وقد قال لأمَّته : «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسّرين»[2] .

وقال الصحابي ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس : «إن اللَّه ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة اللَّه وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سَعتها ، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام»[3] .

(2) رواه البخاري .

(3) انظر : **تاريخ الطبري** (401/2) .

وبهذا تتحقق "**عالمية الرسالة الإسلامية**" كما صوَّرها القرآن ، الذي يقول في مخاطبة الرسول الكريم : ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ (الأنبياء : 107) ، ﴿**تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا**﴾ (الفرقان : 1)، ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول اللَّه إليكم جميعًا**﴾ (الأعراف : 158) .

ولا ريب أن الإقامة بين المبلِّغين تُعين على قوَّة التأثير فيهم بالقول والفعل والأسوة الحسنة ، وتردُّ على كل تساؤل ردًا مباشرًا ، وهذا هو أسلوب المسلمين في القرون الأولى : أن يقيموا بين ظهراني الناس ، ويختلطوا بهم ، ويشاهدوا أخلاقهم وسلوكياتهم ، ويتأثَّروا بهم ويحبُّوهم ، فيحبوا دينهم بحبهم ، فأظهر وأقوى ما أثَّر في الأمم هو سلوك المسلمين المثالي ، الذي لم يروا مثله في الأمم الأخرى .

فمن أراد أن يذهب إلى تلك البلاد غير المسلمة بنيَّة الدعوة إلى الإسلام ، ونشر دين اللَّه فيها ، فعليه أن يكون مؤهّلا لذلك ، بما يملك من ثقافة إسلامية واعية ، كما يملك معرفة لغة القوم التي يخاطبهم بها ، كما قال تعالى : ﴿**وما أرسلنا من رسول إلاَّ بلسان قومه ليُبَيِّنَ لهم فَيُضِلُّ اللَّه من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم**﴾ (إبراهيم : 4) . وكذلك يملك إيماناً عميقًا برسالته ، كما يملك خُلقًا حسنًا ، وقدرة على التعامل الإيجابي مع الناس .

بل المطلوب من المسلمين أن يكون لهم في كل أنحاء العالم ، أَلْسنَة صدق تدعو إلى دينهم بلسان الأقوام المدعوَّة ، فهذا يعتبر من فروض الكفاية الواجبة على مجموع الأمَّة بالتضامن ، فإذا قام به البعض بصورة ملائمة ، وبعدد كافٍ ، سقط الإثم عن سائر الأمة ، وإلاَّ سقطت الأمة كلُّها في الحرج والإثم .

ومن الدلائل على إقامة المسلم تحت سلطان دولة غير إسلامية : بقاء المسلمين في الحبشة بعد قيام دولة الإسلام في المدينة بقيادة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، واستمرار بعضهم فيها لعدَّة سنوات . حتى إن جعفر بن أبي طالب رضي اللَّه عنه ، لم يقدم على المدينة إلاَّ في السنة السابعة بعد الهجرة ، أي عند فتح خيبر ، وقد فرح النبي صلى اللَّه عليه وسلم بمقدمه ، وقال : «لا أدري بأيهما أسر : بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر»[4] .

لا أستدلُّ هنا بمجرَّد الهجرة إلى الحبشة ، وبقاء المسلمين بها قبل الهجرة ، والحبشة بلد يحكمه ملك نصراني ، فمن المنطقي أن يقال : إن المسلمين هنا كانوا في حالة اضطرار للهجرة إلى هذا البلد والبقاء فيه ، وللضرورات أحكامها الاستثنائية . كما كان الرسول والمسلمون في مكة تحت سلطان أهل الشرك من قريش .

(4) رواه الحاكم في الهجرة الأولى (681/2) .

بل الذي أستدلُّ به هنا ، هو : إقامتهم في الحبشة بعد الهجرة إلى المدينة ، وتأسيس دولة الإسلام بها ، ووجود "دار" مستقلَّة للإسلام ، تنتشر منها دعوته ، وتحكم فيها شريعته ، وينطلق منها جنوده . فهذا يدلُّنا على أن المسلم يستطيع أن يعيش في كَنَف دولة غير مسلمة ، ولا يفرض عليه الهجرة منها ، ما دام يعيش فيها آمنًا على نفسه وأهله ودينه وحرماته . لا يضطهده أحد ، ولا يفتنه عن دينه . . . وإلاَّ وجب عليه أن يفارقها مهاجرًا ، حتى لا يكون من الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم[5] .

ومن المسلمين ــ ولا سيما المتشددين ــ مَن يُثير شبهات شرعية ، حول إقامة المسلم في بلاد غير إسلامية ، معتمدين على بعض الأحاديث المرويَّة عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم .

من هذه الأحاديث ، قوله عليه الصلاة والسلام : «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» . قالوا : لِمَ يا رسول اللَّه ؟ قال : «لا تتراءى ناراهما» .

وحديث : «مَن جامع مشركًا ، وسكن معه ، فهو مثله» .

ولابد لنا من وقفة مع هذين الحديثين ، لنرى مدى صحَّتهما سنداً ، فإذا ثبتا من ناحية السند ، لابدَّ من نظرة في دلالة المتن أو النص ، وهل ما استُنبط منهما صحيح مقبول أو لا ؟ .

أما حديث : **أنا بريء من كلّ مسلم يقيم بين أظهر المشركين، لا تتراءى ناراهما**»[6] .

فقد فهم منه البعض تحريم الإقامة في بلاد غير المسلمين ، وأفتى بذلك مُفتون في بلاد شتَّى ، وضيَّقوا بذلك على المسلمين الكثيرين الذين يعيشون في أوربا وغيرها ، مع تعدُّد الحاجة إلى ذلك في عصرنا : للتعلم ، والتداوي ، وللعمل ، وللتجارة ، وللسفارة ، وللفرار من الاضطهاد ، ولنشر الدعوة ، ولتعليم المسلمين الجدد وتثبيتهم ، ولغير ذلك ، وخصوصاً بعد أن تقارب العالم حتى غدا كأنه (قرية كبرى) كما قال أحد الأدباء . والحقيقة : أنه أصبح ــ من الناحية المادية[7] ــ قرية صغرى .

---

(5) إشارة إلى الآيات الكريمة من سورة النساء : ﴿**إنَّ الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض اللَّه واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً، إلاَّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فأولئك عسى اللَّه أن يعفو عنهم وكان الله عفوًا غفورًا**﴾ (النساء : 97-99) .

(6) رواه أبو داود في الجهاد (2654) .

(7) نقول : من الناحية المادية ، لأنه من الناحية المعنوية أصبح أكثر تباعداً مما كان قبل .

والحديث الذي اعتمدوا عليه رواه أبو داود والترمذي عن جرير بن عبد اللَّه مسنداً ومرسلاً ، أي بدون ذكر الصحابي ، وذكروا أن الصحيح هو المرسل . ولم يروه النسائي إلاَّ مرسلاً ، وبعد أن رواه الترمذي مرسلاً ، قال : هذا أصحُّ ، ونقل عن البخاري : الصحيح المرسل ، وكذا قال أبو حاتم الرازي والدارقطني[8] . والاحتجاج بالمرسَل فيه الخلاف المشهور في علم الأصول ، وعامَّة أهل الحديث يعدُّون المرسل في الحديث الضعيف .

ونصُّ الحديث : بعث رسول اللَّه ﷺ ، سرية إلى خثعم ، فاعتصم ناس منهم بالسجود ، فأسرع فيهم القتل ، فبلغ ذلك النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، فأمر لهم بنصف العقل (أي الدية) ، وقال : «أنا بريء من كلّ مسلم يقيم بين أظهر المشركين» . قالوا : يا رسول اللَّه ، لِمَ ؟ ، قال : «لا تتراءى ناراهما» انتهى . ومعنى : «لا تتراءى ناراهما» : أي لا يتجاوران ولا يتقاربان ، بحيث ترى نار كلٍّ منهما نار الآخر ، وهو كناية عن بُعد ما بينهما .

وإنما جعل لهم نصف الدية وهم مسلمون ، لأنهم أعانوا على أنفسهم ، وأسقطوا نصف حقهم[9] لإقامتهم بين المشركين المحاربين لله ولرسوله صلى اللَّه عليه وسلم ، وشدَّد في مثل هذه الإقامة التي يترتب عليها مثل ذلك من القعود على نصر اللَّه ورسوله ، واللَّه تعالى يقول في مثل هؤلاء : ﴿**إنَّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللَّه والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلاَّ على قوم بينكم وبينهم ميثاق**﴾ (الأنفال : 72) .

فنفى تعالى ولاية المسلمين غير المهاجرين ، إذ كانت الهجرة واجبة[10] ، فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام ، «أنا بريء من كلّ مسلم يقيم بين أظهر المشركين» : أي بريء من دمه إذا قُتل ؛ لأنه عرض نفسه لذلك بإقامته بين هؤلاء المحاربين لدعوة الإسلام ، ولدولة الإسلام .

ومعنى هذا : أنه إذا تغيَّرت الظروف التي قيل فيها النص ، وانتفت العلة الملحوظة من ورائه ، من مصلحة تُجلب ، أو مفسدة تدفع ، فالمفهوم أن ينتفي الحكم الذي ثبت من قبل بهذا النص ، فالحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً[11] .

---

(8) انظر : **البدر المنير** ، 163/9 .

(9) قال الإمام الخطابي في تعليل إسقاط نصف الدية : «لأنهم قد أعانوا على أنفسهم بُقامهم بين ظهراني الكفار ، فكانوا كمن هلك بجناية نفسه ، وجناية غيره ، فسقطت حصة جنايته من الدية» ، **معالم السنن** (437/3 ، 438) حديث (2530) .

(10) كانت الهجرة واجبة في أول الإسلام على كلّ مَن أسلم ، لينضمَّ إلى الرسول وأصحابه بالمدينة ، ليتعلم الإسلام ، ويمارسه بحرية ، ويقوي شوكة الجماعة المسلمة ، فلما فُتحت مكة ، ارتفعت الحاجة إلى الهجرة إلى المدينة ، وقال الرسول الكريم صلى اللَّه عليه وسلم : «لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية» . رواه البخاري في الجهاد (2783) ، ومسلم في الإمارة (1864) ، عن عائشة وابن عباس ، رضي اللَّه عنهما .

(11) انظر : كتابنا : **دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية** ، ص 168-170 ، وكذلك كتابنا **في فقه الأقليات المسلمة : حياة المسلمين وسط المجتمعات الأخرى** ، ص 38 ، كلاهما طبعة دار الشروق بالقاهرة .

ومما يقوي هذا الحديث : ما جاء في مسند أحمد برقم (19238) ، عن جرير رضي الله عنه ، قال : أتيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أبايعه ، فقلت : هات يدك ، واشترط عليّ ، وأنت أعلم بالشرط ، فقال : «أبايعك على أن لا تشرك باللَّه شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتنصح المسلم ، وتفارق المشرك» .

وأبادر هنا فأقول : إنَّ هذا الحديث ضعيف ، فقد رواه أبو داود في الجهاد (2787) ، عن سمرة بن جندب ، من طريق جعفر بن سعد ، عن خبيب بن سليمان بن سمرة ، عن أبيه ، عن سمرة ، وهو إسناد ضعيف بالإجماع .

نظرة في دلالة الأحاديث :

وإذا تأملنا في متون هذه الأحاديث ودلالتها ، تبيَّن لنا ما يلي :

أولاً : أنها تتحدث عن "المشركين" وفراق "المشركين" . والمشركون كما ذكرنا تعني عُبَّاد الأصنام . ونحن بصدد الحديث عن أهل الكتاب وخصوصاً المسيحيين منهم .

ثانياً : أن لفظة "المشركين" إذا أطلقت في ذلك الوقت ، تعني : المشركين المحاربين ، الذين أعلنوا العداوة للإسلام ورسوله ، وصدّوا عن سبيل اللَّه ، وشهروا السيف على دعوة الإسلام ، وفتنوا المؤمنين به ، وعذبوهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، حتى يرغموهم على الرجوع عن دينهم .

وهؤلاء هم الذين يُنْهَى المسلمون أن يوالوهم ويرتبطوا بهم ، بخلاف المشركين المسالمين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين ، ولم يخرجوهم من ديارهم . وهو ما قرره القرآن بوضوح في آيتين كريمتين من سورة الممتحنة تعتبران دستوراً للعلاقة بين المسلمين وغيرهم ، يقول تعالى : ﴿**لا ينهاكم اللَّه عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن اللَّه يحب المقسطين (8) إنما ينهاكم اللَّه عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**﴾ (الممتحنة : 8 ، 9) .

ثالثاً : يجب أن نحدد المقصود من "فراق المشرك" في هذه الأحاديث التي كان من وصاياها : "وتفارق المشرك" . فما المراد بكلمة (الفراق) هنا ؟ ، أهو الفراق الحسي أم الفراق المعنوي ؟ .

وإذا قلنا : إنَّ الفراق الحسي هو المراد ، فقد يكون معناه الانتقال من دار الشرك إلى دار الإسلام ، ولا سيما إذا كان المسلم مضيّقاً عليه في دار الشرك . وهذا ما قد يفهم من حديث بهز بن حكيم : "أو يفارق المشركين إلى المسلمين" . وهذا هو ما كان واجبًا على كل من أسلم :

أن يهاجر من بلده إلى المدينة ، حتى كان فتح مكة ، وبها ظهر الإسلام ، وأثبت وجوده وقوَّته ، وأصبح الرسول ﷺ سيد الجزيرة . وهنا قال صلى اللَّه عليه وسلم : «لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا»[12] . وهذا بالنظر إلى حديث بهز بن حكيم لا إشكال فيه .

ومـمّا يـقوِّي هذا الـفهم : أن بـعض روايات الحديث جاء بلفظ : "وتبرأ من الـكافر" . والبراءة من الكافر غير ترك السكنى معه ، فالبراءة منه : أن يعلن أنه لا يؤمن بمعتقداته بتعدد الآلـهة ، أو بإنكار البعث ، أو باستحلال الحرام ، أو بتحريم الحلال ، أو غير ذلك ، كـما كانت دعوة النبي ﷺ إلى قيصر وأمراء النصارى وغيرهم من أهل الكتاب ، يختمها بالآية الكريمة من سورة آل عمران : ﴿**قل يـا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبـينكم ألاَّ نعبد إلاَّ اللَّه ولا نشرك بـه شيـئاً ولا يـتخذ بعضنـا بعضاً أربـاباً من دون اللَّه فـإن تـولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾ (آل عمران : 64) .

نشر الدعوة وتثبيت المستجيبين لها :

ومـمّا يدل على مشروعية الإقامة في بلاد غير المسلمين ، ليحقـِّق مقاصد مشروعة : أن الإسلام فرض على المسلمين أن يبلغوا دعوتهم إلى العالمين ، لتتحقَّق رحمة اللَّه العامة ببعثة محمد الذي أرسله اللَّه رحمة للعالمين . ومن لزوم ذلك : أن يقيم أناس في بلد الدعوة ، ليعلّموا من دخل في الإسلام ، ويثبّتوهم ، وهذا أمر ضروري في توريث الإسلام العملي للمسلمين الجدد ، ومن القواعد المتفق عليها : أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وهذا ما وقع بالفعل خلال التاريخ الإسلامي ، وبه انتشر الإسلام في بلاد شتى ، وثبت فيها ، وتغلغل في حياة أهلها . ومنها بلاد لم يدخلها جيش إسلامي ، ولم ينتشر الإسلام بين ربوعها إلا بأخلاق المسلمين ، وحسن تعاملهم ، وحسن فهمهم لحقائق الإسلام دون تعقيد أو تعسير .

ومن ذلك بلاد كبيرة معروفة ، مثل إندونيسيا وماليزيا ، التي دخل الإسلام إليها عن طريق التجار المسلمين الذين جاؤوا من حضرموت وما حولها ، ولم يكونوا علماء ولا دعاة محترفين ، فأحبَّهم أهل البلاد ، وأحبُّوا دينهم ودخلوا فيه أفواجًا ، ومكثوا في ديارهم وصاهروهم ، حتى أضحوا جزءاً منهم ، ومازالت أنسالهم إلى اليوم تعيش في تلك البلاد بوصفهم مواطنين أصليين فيها .

(12) متفق عليه : البخاري في الجهاد (2783) .

ومثل ذلك كثير من البلاد الإسلامية في إفريقيا ، انتشر الإسلام فيها عن طريق الاختلاط والمعاشرة ، وعن طريق الطرق الصوفية .

ولو كان الحكم الدائم هو تحريم إقامة المسلم في بلاد أهل الكفر ، ما وجد الإسلام سبيلاً للانتشار أبداً ، وسددنا عليه الطريق مختارين .

هذا مع أن أهل الكتاب نرى أمرهم أسهل وأيسر من غيرهم ، لما قرَّر لهم الإسلام من أحكام خاصة بهم ، تجعلهم أقرب إلى المسلمين من الوثنيين وأمثالهم ، ومن ذلك أنه أباح للمسلمين الزواج من نسائهم ، وهذه خطوة تقدمية في التسامح مع المخالفين ، قلَّما تسمح بها الأديان الأخرى .

وبهذا تنعقد المصاهرة بين الرجل المسلم وأهل زوجته ، التي أمست شريكة حياته ، وأم ولده . وأما أولاده منها ، فعليهم حقوق البرّ لأمهم ، وصلة الرحم لأجدادهم وجداتهم ، وأخوالهم وخالاتهم ، وأولاد أخوالهم وخالاتهم ، وهؤلاء جميعاً لهم حقوق ذوي القربى ، التي توجبها صلة الرحم التي أمر اللَّه أن توصل : ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللَّه**﴾ (الأنفال : 75) .

ومثل هذه الصلات تجعل متسعًا لهؤلاء ليقيموا مع أمهاتهم أو أجدادهم أو أخوالهم ، إذا كان هناك من يعلمهم دينهم ، وما يمكنهم من إقامة فرائضهم ، ولا يخشى خطر على دينهم في بقائهم .

التجنس بجنسية البلاد الأوربية :

قد رأينا كيف أثار بعض علماء المسلمين شبهات حول إقامة المسلمين في البلاد الأوربية ، بوصفها خارج دار الإسلام ، وقد رددنا هذه الشبهات ، وفنّدناها بالأدلة الشرعية ، وبيّنا أن إقامة المسلم في البلاد الأوروبية وغيرها لا حرج فيه شرعًا ، بل قد يكون مطلوبًا طلب استحباب أو طلب وجوب ، حسب الأهداف المتوخّاة من هذه الإقامة .

بقي هنا موضوع آخر مرتبط بموضوع الإقامة ، وهو التجنس بجنسية هذه البلاد الأوربية ، من فرنسية أو بريطانية أو ألمانية أو غيرها .

ومن المؤكّد أن الذين يرفضون الإقامة في أوربا وغيرها من البلاد غير الإسلامية ، يرفضون ــ من باب أولى ــ التجنّس بجنسيتها .

وقد رأينا من العلماء والدعاة من يتشدد في ذلك غاية التشدد ، ويحرم على المسلمين حمل أي جنسية غير إسلامية . وقد بحثت ذلك الندوة الفقهية التي عقدت في الكلية

الأوربية الإسلامية في فرنسا ، وحضرها عدد من الفقهاء المعتبرين ، على رأسهم العلامة مصطفى الزرقا ، والشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة ، والشيخ منَّاع القطَّان ، وغيرهم . وكانت مسألة التجنُّس بالجنسية الأوربية من المسائل المعروضة ، وقد انتهت الندوة إلى إجازتها ، والردّ على شبهات العلماء المشددين فيها .

وقد كان من الذين تشدَّدوا في حمل الجنسية غير الإسلامية ، الأستاذ حسن البنا رحمه اللَّه ، وله في ذلك فتوى منشورة معروفة ، قال فيها :

«مجرَّد تجنُّس المسلم بأي جنسية أخرى لدولة غير إسلامية ، كبيرة من الكبائر ، توجب مَقْت اللَّه وشديد عقابه ، والدليل على ذلك ما رواه أبو داود ، عن أنس ، قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : «من ادَّعى لغير أبيه أو انتمى لغير مواليه ، فعليه لعنة اللَّه المتتابعة إلى يوم القيامة»[13] ، والآية الكريمة تشير إلى هذا المعنى ، وهي قول اللَّه تبارك وتعالى : ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**﴾ (آل عمران : 28) ، فكيف إذا صحبه بعد ذلك واجبات وحقوق تبطل الولاء بين المسلمين ، وتمزق روابطهم ، وتؤدي إلى أن يكون المؤمن ، في صف الكافر أمام أخيه المؤمن ؟ ! وإنَّ خيراً للمسلم أن يَدَع هذه الديار وأمثالها إن تعذَّرت عليه الإقامة فيها إلا بمثل هذه الوسيلة ، وأرض اللَّه واسعة : ﴿**ومن يهاجر في سبيل اللَّه يجد في الأرض مراغمًا كثيرًا وسعة**﴾ (النساء : 100) ، واللَّه أعلم»[14] انتهى .

ولكن الذي أراه هنا : أن أخذ الجنسية من بلد غير إسلامي يعدُّ أحياناً خيانة لله ورسوله وللمؤمنين ، وذلك في حالة الحرب بين المسلمين وغيرهم ممن يحاربون الإسلام ؛ ولذا أفتى علماء تونس وقت الاحتلال الفرنسي أن أخذ الجنسية الفرنسية يُعدُّ خروجًا وردَّة عن الإسلام ؛ لأنه بتجنُّسه باع ولاءه لوطنه ، واشترى ولاءه للمستعمر ، فأفتى العلماء الكبارَ بكفر مَن فعل ذلك ؛ لأن هذه الفتوى سبيل من سبل المقاومة للاحتلال ، وسلاح من أسلحة الجهاد . ولكن في الأوقات العادية ، فالمسلم الذي يحتاج للسفر إلى بلاد غير إسلامية تعطيه الجنسية قوة ومَنعة ؛ فلا يحق للسلطات طرده ، ويكون له حقّ الانتخاب في المجالس البلدية والتشريعية وانتخابات الرئاسة ، مما يعطي المسلمين قوة في هذه البلاد ؛ حيث يخطب المرشحون ودَّهم ، فحمل الجنسية ليس في ذاته شراً ولا خيراً ، وإنما تأخذ الحكم حسب ما يترتب على أخذ هذه الجنسية من النفع للمسلمين أو الإضرار بهم .

---

(13) رواه أبو داود في الأدب (5115) عن أنس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (5987) .

(14) مجلة "**الإخوان المسلمون**" السنة الرابعة ، العدد (4) ، ص 11 بتاريخ 14 صفر 1355هـ الموافق 5مايو 1936م ، القاهرة ، نقلاً عن سلسلة "**من تراث الإمام البنا**" ، الكتاب الرابع ، **الفقه والفتوى** ، ص 229-230 .

ولكي نكون منصفين ، فلابد أن نضع فتوى البنا ومَن وافقه في إطار زمنها وبيئتها وظروفها ، فقد يتشدد الأستاذ (حسن البنا) في أمور ، نحن نتساهل فيها اليوم بمقتضى التطور العالمي ، واقتراب الناس بعضهم من بعض ، وتغير صفة بعض الدول من دول استعمارية ظالمة للمسلمين ، إلى دول حليفة أو شريكة للمسلمين . كما أن الأستاذ في بعض ما كتبه كان في عنفوان الشباب ، بما فيه من حماسة وثورة ، واندفاع في المواجهة ، وللسنّ حكمُها ، وللبيئة والزمن تأثيرهما . وعلى كل حال ؛ ليس في العلم كبير ، وكل أحد يؤخذ منه ويردُّ عليه ، إلاَّ مَن لا ينطق عن الهوى صلى اللَّه عليه وسلم .

هل يقبل الغرب المسلمين مواطنين كغيرهم لهم كلُّ الحقوق ؟ :

في عامة البحوث الإسلامية حول اندماج الأقليات المسلمة في الغرب ، وقبول فكرة (**المواطنة**) التي تتيح للمسلم التعايش من أهل البلاد ، واكتساب ما لهم من حقوق المواطن ، التي يحصل عليها غيرهم بيسر وسهولة ، ودون عوائق أو مكدّرات ، أقول : في عامة البحوث يتجه الباحثون إلى أن العقبة في الاندماج وقبول المواطنة هم المسلمون أنفسهم ، الذين لا يقبلون بسهولة فكرة الاندماج في غيرهم ، وبخاصة الجيل الأول من المهاجرين ، الذي يظل مرتبطًا بوطنه الأول ، حذرًا من الاندماج في وطنه الثاني ، وربما كانت عنده أفكار متوارثة أو مفاهيم مغلوطة ، يقبلها تقليداً على أنها الدين الحق ، ولم يناقشها مع علماء راسخين يجمعون بين الأصالة والمعاصرة .

وهذا صحيح ، وهو ما جعل "**المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث**" منذ نشأته إلى اليوم ، يصدر في كل دورة من دوراته ، بياناً ينادي فيه المسلمين بوجوب التفاعل مع الأوطان التي يعيشون فيها ، والاندماج في شعوبها ، وعدم العزلة عنها ، وضرورة المشاركة الإيجابية في كل ما يرقى بالوطن ويعمل على ازدهاره ، وبهذا يظهر نشاطهم وتحركهم وجدهم واجتهادهم في خدمة الوطن ، مع وجوب احتفاظهم بعقائدهم وشعائرهم وأخلاقياتهم وآدابهم وقيمهم وتقاليدهم التي تميزهم عن غيرهم ، والتي فرضها عليهم دينهم . وبهذا تتحقق هذه المعادلة التي قد يظنها بعضهم صعبة ، وهي : **استقامة بلا انغلاق، واندماج بلا ذوبان** .

هذا هو موقف العلم والفكر الإسلامي من قضية الاندماج والمواطنة والأقليات المسلمة في أوربا وفي الغرب عموماً . ولكن غفل علماء المسلمين وباحثوهم بصفة عامة ، عن موقف الغرب من قبول "مواطنة" المسلمين معهم ، واندماجهم فيهم . إذ كان المفهوم من قبل ، أن العائق إنما هو عند المسلمين ، ولم يكن معروفاً أن أوربا والغرب لديهم عقبة أو عائق من قبَلهم أنفسهم ، فقد كانت الفلسفة الليبرالية السائدة عند الغربيين ، وخصوصاً أوربا الغربية ، وأَمريكا

الشمالية ، ترحب باندماج المسلمين فيهم ، وتجعل لهم كل الحقوق الممنوحة للمواطنين الأصليين ، ولغيرهم من المهاجرين إليهم من الجنس الأبيض ، فلم يكن هناك ـ في الغالب ـ تمييز بين أبيض وأسود وملوَّن ، إنما هي حقوق الإنسان من حيث هو إنسان ، بغض النظر عن لون جلده ، أو لون عينيه ، أو شكل أنفه ، أو رأسه ، أو مدى نعومة شعره . وساعد على هذا التوجه أن الأفواج الأولى من المهاجرين لم يكن يعنيها إلا لقمة العيش ، ولم تكن تهتم بأمر الإسلام فكرًا أو سلوكًا .

ولكن في السنوات الأخيرة ، وبعد ظهور الصحوة الإسلامية ـ وخصوصًا بعد 11 سبتمبر 2001م ـ تغير الموقف كثيراً ، وأضحى المسلمون يعاملون معاملة خاصة ، فيها كثير من الإساءة والاستفزاز ، بل التحقير والإيذاء أحياناً ، لا لشيء إلاَّ لأنهم مسلمون .

جاء ذلك نتيجة تغيُّر السياسات التي تتبناها الأنظمة الحاكمة ، كما في سياسة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش ، وجماعة اليمين المسيحي المتطرف والمتصهين في أمريكا ، ورئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير ، وإنجيلا ميركل في ألمانيا ، وغيرهم . ومعظم ما حدث من تغير نتيجة تأثير اللوبي الصهيوني الذي يغذي مخابرات البلاد الغربية بمعلومات كاذبة أو ملفقة حول المسلمين ودعوتهم ، ويعظم من شأن الغلاة والمتطرفين ، وكأنهم أكثرية المسلمين ، وما هم إلا فئة قليلة ، ينبذها جمهور المسلمين .

ولا غرو أن تجد في أوربا أحزابًا يمينية متطرفة ، تقوم برامجها على إعلان العداء للمهاجرين ، والسعي إلى طردهم ، وتطهير البلاد من وجودهم ، أو على الأقل تحجيمهم وتقزيمهم وتهميشهم ، حتى لا يكون لهم دور في المجتمع .

وأحيانًا نجد تغيّر الموقف ضد المسلمين ، نتيجة لتغير "الفلسفة" السائدة والمؤثرة في التفكير العام ، والتي يتبناها الإعلام ويروج لها .

ظهور فلسفات رجعية في فرنسا :

مثال ذلك ، ما حدث في فرنسا التي كانوا يعتبرونها "أم الحريات" ، ومحضن الليبرالية ، وسادنة حقوق الإنسان .

فقد ظهر فيها بعض هؤلاء الذين ينقدون فلسفات الماضي ، ويعتبرونها فلسفة مثالية ، لا تمت للواقع بصلة ، ويدعون إلى فلسفة جديدة ، على النقيض من تلك الفلسفات القديمة ، التي ضللت العقل الفرنسي بما قدمته له من رؤى ومعارف غير حقيقية . ولهذا عهدها الباحثون والراصدون للأفكار "فلسفة رجعية" حقًا ، لا أثر لها إلا تأخير فرنسا إلى القرون الوسطى ، على

عكس ما نادى به فلاسفة التنوير أمثال ــ فولتير وروسو Voltaire, Rousseau ــ ، وفلاسفة الحرية والإنسانية مثل ــ سارتر وفوكو وألتوسير Sartre, Foucault, Althusser ــ .

كتب الكاتب التونسي لَسْعَد الواعر ، في صحيفة "**الصباح**" التونسية مقالتين في (3 ، 2007/4/4م) بعنوان "**تساؤلات حول الفلسفة المعاصرة في فرنسا**" ، كشف فيها النقاب عن هذا الفكر أو هذه الفلسفة الرجعية الجديدة ، التي يجسّدها الفيلسوف (ألن فنكيلكروت) ــ Alain Finkielkraut ــ الذي انتقل من اليسار إلى أقصى اليمين المتطرف ، والذي ساند قلة من الفلاسفة والمثقفين الشبان مثل ــ برناردهنري ليفي Bernard-Henry Lévy ــ و ــ أندريه غلوكسمان André Glucksmann ــ وغيرهما .

سمى هذا الفيلسوف اتجاهه الرجعي الجديد (**مراجعة ذاتية**) ، وفيها هاجم التيار اليساري والتقدُّمي الذي كان ينتمي إليه ، وزعم أنه كان أسطورة أو خرافة في تبنّيه للمساواة المطلقة بين الأجناس والطبقات والأفراد .

وفي كتابه "**هزيمة الفكر**" الذي نشره سنة 1987م ، أعلن هذا الفيلسوف الفرنسي صراحة عن اتجاه نقدي راديكالي ، للفلسفة أو للثقافة المعاصرة ، ووصفها بالتسيُّب والانحلال ، وخصوصاً بسوء تشخيصها (الأخلاقي) وغير الواقعي لمشكلات المجتمعات الغربية المعاصرة ، مثل سوء التفاهم بين الثقافات الموجودة في فرنسا ، أو مشكل البطالة ، أو مشكل الفشل المدرسي .

فإذا كان الحديث عن إخفاق العرب أو الأفارقة المهاجرين في "التأقلم" مع نموذج العيش الفرنسي ، فإن فنكيلكروت وغلوكسمان لا يُرجعان ذلك الحيفَ الطبقيَّ الاقتصاديَّ والاجتماعي الواقع والضاغط ، إلى هذه الأقليات المهاجرة ، بل إلى "الذهنية" الرمزية العربية أو الأفريقية ، التي لا يمكنها أن "تتأقلم" مع الذهنية الغربية المتقدمة علمياً وسياسياً[15] .

وكأن هذا الفيلسوف يُعيد نظرية تفاضل الأجناس من جديد ، و"تفوق الرجل البيض" على غيره ، وأنه خلق ليسود ويقود ، وأن غيره من الأجناس إنما خلقوا لينقادوا له ويتبعوه . وكانت هذه النظرية "اللاعلمية" قد عفا عليها الزمن ، وجرفتها النظريات التي تسوّي بين البشر في العقل والروح والخصائص الإنسانية .

على كلّ حال ، هذا هو الفكر الذي يروّج له الإعلام في فرنسا ، وهي نموذج لغيرها من دول الغرب . ومعنى هذا ، أن الغرب بعد أن كان قوّة جاذبة للمسلمين إلى دياره ، أصبح قوة طاردة لهم ، وأضحى يضيق بهم ذرعًا ، وكأنه يردد مجدداً مقولة الأديب الغربي القديم : الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولن يلتقيا .

(15) انظر : جريدة "**الصباح**" اليومية التونسية ، يومَيْ 3-4 أبريل 2007م ، مقالة الكاتب لسعد الواعر : "**تساؤلات حول الفلسفة المعاصرة في فرنسا**" .

وقفة للتأمل :

ولكن يجب علينا للإنصاف وللوصول إلى الحقيقة ، أن نقف هنا وقفة للتأمل والتعمق في القضية . فهل فِكْرُ هؤلاء "الرجعيين" يمثل الفكر العام في أوربا وأمريكا ؟ ، أو هو يمثل شريحة معينة من أهل الفلسفة أعماهم التعصب عن رؤية الحقيقة ، ولم ينظروا إلى الأمر نظرة أعمق ، تتجاوز الغلاف أو القشرة الظاهرة للإنسان والأشياء ، وتتأمَّل في الإنسان من حيث هو إنسان ، فإذا هو جوهره واحد ، وإن اختلفت الأوطان والألوان والألسنة ، أو اختلفت الأشكال والمستويات والطبقات ؟ .

أكبر ظني أن الذي يسود في النهاية هو النظرة الإنسانية ، والفكرة الكونية ، التي لا تركز على ما يفرق الناس ويميزهم بعضهم عن بعض ، بل على ما يجمع بينهم ، وهو كثير ، والبقاء دائماً للأصلح ، والقرآن يؤكد ذلك فيقول : ﴿**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**﴾ (الرعد : 17) .

ولا ريب أن الواقع يفرض نفسه ، فقد أصبح المسلمون جزءاً من الواقع الأوربي ، وغدا منهم أعضاء في البرلمانات المختلفة في عدد من الأقطار الأوربية ، ومنهم أعضاء في مجلس العموم البريطاني ، وفي مجلس اللوردات ، وفي الكونجرس ، وأعضاء في الأحزاب الحاكمة أو المعارضة ، بل بات منهم مَن يتبوَّأ منصب الوزارة ، ولم يعد من الممكن ــ كما أنه ليس من المفيد قطعاً ــ التفكير في محو الوجود الإسلامي من أوربا ، أو من أمريكا ، ولا سيما أن بعض هذا الوجود أصيل وليس مهاجراً .

على أن من الخير كل الخير أن يظل هذا التنوع قائمًا ، فالكون كله قائم على ظاهرة التنوع ، أو ما يسميه القرآن "**اختلاف الألوان**"[16] ، وبهذا تتلاقح الثقافات ، وتتفاعل الحضارات ، ويأخذ بعضها من بعض ، كما يعطي بعضها بعضًا . ويكفي الجميعَ وجود الأصل الإنساني المشترك : ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء**﴾ (النساء : 1) .

مرحلة ما بعد 11 سبتمبر استثنائية :

وهذه المرحلة التي حدثت بعد 11 سبتمبر 2001م ، لا ينبغي أن تلغي التاريخ كله ، ولا أن تحكم على المستقبل كله . إنها فترة استثنائية ، لابد أن تنتهي ، وتعود المياه إلى مجاريها الطبيعية ، كما يقولون .

---

(16) إشارة إلى مثل قوله تعالى : ﴿**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين**﴾ (الروم : 22) ، وقوله : ﴿ **ألم تر أن اللَّه أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود**﴾ (فاطر : 27) .

وعلى المسلمين في أوربا ــ وفي أمريكا كذلك ــ أن يصبروا على مواجهة هذه الفترة بما يصاحبها من مضايقات وسلبيات ، ويثبتوا أنهم أصحاب رسالة عالمية ، وأن لدينهم مفاهيم وقيمًا دينية وخلقية تجعلهم يتعايشون مع جيرانهم من أهل هذه البلاد بأخلاق المؤمنين ، وفضائل الملتزمين ، وبخاصة أن أهل هذه البلاد في نظر المسلمين ، (أهل كتاب) خصَّهم الإسلام بمعاملة متميزة دون سواهم من غير المسلمين ، حتى شرع للمسلم أن يصاهرهم ويتزوج منهم .

ومن هنا لا يجد المسلم العارف لدينه ، صعوبة في الاندماج في المجتمع الغربي ، والامتزاج بأهله ، والتأقلم معهم ، دون أن يفرط في دينه وما فرض اللَّه عليه من واجبات ، وما حظر عليه من محرمات .

والأصل في المجتمعات الغربية اليوم ، أنها مجتمعات "علمانية" . وذلك بعد أن اصطدمت هذه المجتمعات بالكنيسة الغربية التي كانت تمثل سلطة الدين ، وقد وقفت مع الجمود ضد التحرر ، ومع الظلام ضد النور ، ومع الخرافة ضد العلم ، ومع الإقطاع ضدّ الفلاحين ، ومع الملوك ضد الشعوب ، فلا عجب أن ثارت عليها الجماهير وتمرّدت على سلطاتها ، وجردتها من سيف السلطة الزمنية ، وقصرتها على السلطة الروحية ، وبهذا فصلت الدين عن الدولة أو المجتمع ، أي عن الكنيسة . وكانت مصلحة تلك المجتمعات في اختيار مبدإ العلمانية . أما مجتمعاتنا فلم تكن في حاجة قط إلى مثل ذلك الاختيار ، لأن الوضع غير الوضع ، والتاريخ غير التاريخ .

والمفهوم أن العلمانية الليبرالية "محايدة" مع الدين ، لا تؤيده ولا تعاديه ، ومعنى ذلك : أن المسلم يستطيع أن يحيا بعقيدته ، ويؤدي عباداته ، ويجتنب ما حرم اللَّه عليه ، دون أن يضغط عليه أحد ، أو يُكرهه على ترك مأمور ، أو فعل محظور . وهذا هو ما تنص عليه الدساتير ومواثيق حقوق الإنسان ، من توفير الحرية الدينية لكل الناس .

بيد أن هناك بعض العلمانيات لا تلتزم بموقف الحياد من الدين ، كما هو الأصل المقرر في ذلك ، بل تتدخل أحيانًا بما ينافي الحرية الدينية ، والحرية الشخصية ، وهما حريتان مقدستان عند الفلسفات والشرائع المختلفة .

قضية الحجاب في فرنسا :

من أمثلة ذلك ما وقع في فرنسا بالنسبة لقضية "الحجاب" مع المسلمات ، ولا سيما الطالبات في المدارس الفرنسية ، ومنعهن ــ قانونًا ــ من دخول المدرسة بالحجاب .

وحجتهم في ذلك أن "الحجاب" رمز ديني ، ولا يجوز اتخاذ الرموز الدينية في المدارس ، لما فيها من تمييز بين الطالبات بعضهن وبعض بسبب الدين .

وقد رددتُ عليهم في ذلك بما يبطل هذه الحجة ، وقلت لهم : إن الحجاب ليس رمزًا دينيًا بحال من الأحوال ، لأن الرمز الديني ما ليس له وظيفة إلا الإعلان عن دين صاحبه ، مثل وضع الصليب على الصدر ونحو ذلك . أما الحجاب فله وظيفة معلومة ، وهي سِتْرُ جزء معين من جسد المرأة مثل الرأس والعنق والنحر الذي يحرم الإسلام كشفه أمام الرجال الأجانب . ولهذا لا تلتزم المسلمة بالحجاب أمام النساء ، ولا أمام الرجال المحارم ، والرمز الديني يلبس أمام الرجال والنساء جميعًا .

على أن الصليب ــ وهو رمز ديني باتفاق ــ لم يمنع في مدارس فرنسا ، إنما منع فقط الصليب الكبير ، ولا حاجة لامرأة في لبسه .

وعندما ثارت قضية الحجاب في فرنسا ، واشتدَّ أُوارها ، كتبتُ رسالة إلى الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك ، بيَّنتُ له فيها أن منع المسلمة من الحجاب ينافي المبادئ التي قامت عليها الثورة الفرنسية ، وهي : الحرية والإخاء والمساواة .

أما منافاتها لمبدإ "الحرية" ، فلأنه ضد الحرية الدينية ، والحرية الشخصية .

أما الحرية الدينية ، فهو يُلزم المسلمة أن تخرج عن تعاليم دينها ، وأن تخالف أمر ربها في القرآن الكريم الذي قال : ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾ (النور : 31) .

وأما الحرية الشخصية ، فلأنها تتدخل في زيّ ارتضته المرأة لنفسها مختارة ، فلماذا نجبرها على خلعه؟ ، في حين تلبس الأخريات ما يشفُّ وما يصف ، وما يكشف عن أجسادهن مما يسمى "الميني جيب" و"الميكرو جيب" ، ولا يتدخل أحد في شأن ما يلبسنه .

وأما منافاتها لمبدإ "الإخاء" ، فلأنه يشعر المسلمة بأنها "مضطهدة" في دينها ، وأنها مجبرة على مخالفة أمر ربها ، وأن الأخريات لهن حرية التبرُّج ، وليس لها حرية التستر والاحتشام . وهذا الشعور ينعكس على نفسيتها ضيقًا وتبرُّمًا بالمجتمع من حولها ، وهذا لا يحقق الإخاء الذي دعت إليه ثورة فرنسا .

وأما منافاته لمبدإ "المساواة" ، فهذا واضح ، فأين المساواة بين طالبة تلبس ما تحبُّ وتذهب به إلى مدرستها ، وأخرى يفرض عليها زيٌّ لا ترضاه ، وإذا خالفت ذلك فُصلت من المدرسة .

موقف المجلس الأوربي للإفتاء :

وكان مما وفّق إليه إخواننا المسلمون في أوربا ، أنهم عرفوا طبيعة عصرهم ، وأنه عصر المؤسسات لا عصر الأفراد ، فالأفراد ــ مهما تكن عبقريتهم ــ زائلون وراحلون ، والمؤسسات هي التي تستقر وتبقى .

ولهذا أنشأوا المساجد والمدارس والمعاهد والأندية والجمعيات والمراكز المختلفة ، لسدّ حاجاتهم وتلبية مطالبهم المتعددة والمتنوعة ، الروحية والمادية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والرياضية والترفيهية .

ومنها : المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث ، الذي سدّ ثغرة مهمة في العلاج الفقهي لقضايا الأقليات المسلمة المتجددة ، والتي قد تختلف كثيراً عن قضايا المجتمعات الإسلامية الخالصة ، والتي تحتاج إلى اجتهاد جديد ، جزئي وكلي ، انتقائي وإنشائي ، فردي أو جماعي . والمجلس بتكوينه المتنوّع ، يمثل هذا النوع من الاجتهاد الجماعي المتخصّص ، وهو يعمل على مساعدة المسلمين في أوربا على العيش بدينهم وأخلاقياتهم مع جيرانهم من غير المسلمين ، دون أن يفرطوا في أحكام شريعتهم ، ما داموا متمسكين بالأصول ، مراعين للمقاصد ، متحرّين رضا اللّه سبحانه .

ولقد حرص المجلس الأوروبي للإفتاء منذ إنشائه[17] على أن يحثّ الأقليات المسلمة في كل بلد على أن يشاركوا في خدمة الوطن الذي يعيشون فيه ، ويعتبرون أنفسهم جزءاً منه ، ويتعايشون مع أهله ، ويتفاعلون مع أبنائه ، بكل صفاء وإخلاص ، متمسّكين بقيمهم ، معتزين بإيمانهم ، مؤدّين لشعائرهم ، بعيدين عن كلّ غلوّ وتفريط ، كما قال تعالى : ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ (البقرة : 143) .

(17) تأسّس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث سنة 1997 واتخذ من دبلن في إيرلندا مقراً له . ويرأسه الدكتور يوسف القرضاوي ، ويتولى الأمانة العامة الشيخ حسين محمد حلاوة .

ISLAM TODAY

Journal of the Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization -ISESCO-

Edited in the three languages: Arabic, English and French

Issue 28 - 27th year
1433H / 2012

AN ISLAMIC PERSPECTIVE ON CITIZENSHIP: CITIZENSHIP OF MUSLIMS IN NON-MUSLIM COUNTRIES

Dr Yussuf al-Qaradawi(*)

In the present study we will address the **citizenship** or **naturalization** of Muslims in non-Muslim societies. By this we refer to the Muslim minorities living in Europe, America, the Far East, Africa and other parts of the world, most particularly when these Muslims are of Asian or African descent

How are Muslims perceived by the original inhabitants of these countries, particularly when they acquire the nationality of their host country? Do they continue to be considered as aliens, outsiders or foreigners even after becoming naturalized? Or are they considered as full-fledged citizens who enjoy the same rights and have obligations even if they follow a different religion or hail from different stock or color?

How do Muslims perceive themselves against the society where they live? Do they consider themselves part of it, or do they continue to feel as strangers? Do they steer clear of this society and live in isolation, cocooned among themselves? Or do they integrate this society, interact with it, influence it and respond to its influences?

To answer these questions, we have to shed clarity on the following points or Sharia rules:

1- The position of Islam on residence in non-Muslim countries.

2- The ruling on acquiring the nationality of a non-Muslim country.

3- In the cases where expatriation and naturalization are not prohibited, what is Islam's take on integration within a non-Muslim society?

4- Can the Muslim accept 'citizenship' in this society to become a national of this country with the same rights and obligations, or is it unlawful for him to give his loyalty and patriotism to this country,

---

(*) President of the World Union of Muslim Scholars, and president of the Centre for Sunnah and Sirah Studies in Doha.

support its prosperity and progress and defend it against any enemy, even when that enemy is a Muslim country?

5- What is the position when the Muslim minority wishes to integrate the host country but the latter's inhabitants reject them as partners and continue to treat them as intruders?

Islamic Rule on Residence in non-Muslim Lands

The position taken by Islam on the act of residing in a non-Muslim country varies according to the state of this country's inhabitants and their stance vis-à-vis Islam and Muslims.

In some countries, hostile to religion, pious people are generally persecuted. This was the case in communist countries in their days of glory. The philosophy of communism is built around atheism, the negation of divinity, prophethood and the Day of Judgment and the assertion that there is no god, that life is pure matter and that religion is the opium of peoples. Communism slams all religions but nurtures more hatred and enmity towards Islam because it is a religion of jihad and struggle, feeds people with anti-communist ideas, rejects communism as a creed and as a system and fights it as a form of imperialist colonialism.

A Muslim living in a communist country has to be patient, show fortitude and hold tight to his religion with all his might. He should adhere to the rulings on force majeure for what he has no control over, considering himself in a state of coercion. Allah (SWT) says in the Quran: "***Except under compulsion, his heart remaining firm in Faith.***" (*Nahl*, verse 106), and: "***But if one is forced by necessity, without willful disobedience, nor transgressing due limits,- then Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful.***" (*Nahl*, verse 115)

To a person wishing to migrate from Muslim lands to a non-Muslim country we say: You are not allowed to leave the land of Islam where you can perform your rites in all freedom, and go to a land where you will be persecuted and controlled and where you will not be able to observe the teachings of Islam, let alone promote and preach Islam.

In the *hadith*: "*No Muslim should place himself in a humiliating position.' The Prophet was asked: How can man humiliate himself?, the prophet answered: 'By burdening it with more hardship than it can humanly bear.*"[1]

(1) Narrated by Ahmed (23444).

Islam urges Muslims to migrate from their homeland only if they are persecuted there and cannot perform their rites. Islam considers this as unfairness to oneself and as living in sin: "***When angels take the souls of those who die in sin against their souls, they say: "In what (plight) Were ye?" They reply: "Weak and oppressed Were we in the earth." They say: "Was not the earth of Allah spacious enough for you to move yourselves away (From evil)?" Such men will find their abode in Hell, - What an evil refuge! - Except those who are (really) weak and oppressed - men, women, and children - who have no means in their power, nor (a guide-post) to their way. For these, there is hope that Allah will forgive: For Allah doth blot out (sins) and forgive again and again.***" (*Nisaa*, verses 97-99)

To these people I say, if Islam allowed such people to migrate from their homeland, how can they go of their own free will to a country where they will serve injustices to themselves and be deprived of the freedom to perform their acts of worship?

There are countries where freedom reigns: freedom of worship, civil freedom, intellectual freedom, political freedom and all other forms of freedom. No one interferes with another's religion and each is left to his own choices. Those are the democratic liberal countries although they choose secularity as their motto. The guiding principle of secularity is that it takes a neutral position vis-à-vis religion, neither supporting nor opposing it. Religion is considered a private matter between the person and his creator whom he believes in and worships, irrespective of who this god is.

This was the atmosphere that reigned in Europe and America throughout the 20th century and allowed millions of Arabs and Muslims to move to the West for myriad reasons, including labor which was highly in demand in Europe, especially after World War II.

I see no objection to the Muslim's migration into such atmosphere and residence in Europe where most people follow Christianity, as long as the purpose behind the migration is legitimate: working and securing a source of income when appropriate employment opportunities are scarce in one's home country and abound in the host country. Seeking a livelihood by touring the world is a lawful pursuit for the Muslim.

France, Germany, Britain and other countries welcomed thousands if not millions of people to work in various fields, people hailing from North Africa and other African countries, Turkey, India and others.

The poet said in this regard:

Broad expanses and far reaches are Allah's lands
And abundant is Allah's bounty on earth
Tell the idle for lack of means
If your homeland is narrow seek the world's expanses

Allah (SWT) also said: "***And others who will go about the land in search of God's bounty.***" (*al-Muzzammil*, verse 20)

Similar to the quest for God's bounty is the quest for peace and safety. When people feel unsafe in their homelands and fear imprisonment, biased military trials or fear for the safety of their families and property after their peers have suffered such misfortunes, and if they seek a safe haven where their religion, lives, families and property are safe, they have every right to seek this security for themselves and of their families. Man's need for safety from fear and terror equals his need for nourishment and for food security. Allah (SWT) said: "***Who has given them food against hunger, and made them safe from danger.***" (*Quraish*, verse 4)

In the Quran, hunger and fear are described as among the worst plagues that could affect society: "***And therefore God caused it to taste the all-embracing misery of hunger and fear in result of all [the evil] that its people had so persistently wrought.***" (*Nahl*, verse 112)

When Yussuf, peace be upon him, welcomed his parents and brothers in Egypt, he said "***Enter Egypt! If God so wills, you shall be secure [from all evil]!***" (*Yussuf*, verse 99)

On par with seeking God's bounty and safety is the quest for knowledge, particularly in branches of science and knowledge that are not available in the lands of Muslims or, if available, suffer low standards and weak resources. The student who travels in pursuit of knowledge then may extend his stay for one reason to another until he settles definitely in one host country or another.

All of these factors make settling in the host country an attractive option provided the Muslim's faith and that of his family and progeny are not threatened by the tendency towards laxity, liberalism and deviation that is common in these societies, and by the widespread materialism which disregards religion and belief in the afterlife and the Day of Judgment. Whoever encounters dangers in a host country that undermine his faith or that of his children cannot continue to reside there even if his stay there produced millions in income. What is the point of

succeeding in worldly matters and losing religion? What is the worth of winning millions and losing one's children?

In the mid-seventies, I told Muslim expatriates in the United States: If you feel that your faith and that of your children is in danger, start your journey back home tomorrow. The Muslim has nothing more valuable than his religion. Allah (SWT) said: "***Say: "If your fathers and your sons and your brothers and your spouses and your clan, and the worldly goods which you have acquired, and the commerce whereof you fear a decline, and the dwellings in which you take pleasure - [if all these] are dearer to you than God and His Apostle and the struggle in His cause, then wait until God makes manifest His will; and [know that] God does not grace iniquitous folk with His guidance.***"(*Tauba*, verse 24)

More important than the above goals are those of the person who migrates to another country with the purpose of spreading the word of God and calling to Islam, in implementation of Allah's and the Prophet's call to all Muslims to spread the message brought by the Messenger in his lifetime: "***O Messenger. Proclaim the (message) which hath been sent to thee from thy Lord. If thou didst not, thou wouldst not have fulfilled and proclaimed His mission.***" (*al-Maida*, verse 67).

We are requested to emulate the model of the Messenger and spread his message just as he disseminated it. The Islamic Ummah was sent to spread what its prophet (PBUH) preached. He said to his Ummah: "*You have been sent to make things easy (for the people) and you have not been sent to make things difficult for them.*"(2)

The companion Rab'ie Ibn Amer said to Rustum, commander of the Persians: "*Allah has sent us to guide people away from worshipping other people to worshipping Allah alone, to take them from the narrowness of the world to its expanses, from the iniquities of religions to the justice of Islam.*"(3)

This way the universality of the Islamic message, as described in the Quran, becomes a reality. Addressing the Noble Prophet, the Quran says: "***We sent thee not, but as a Mercy for all creatures.***" (*al-Anbiya*, verse 107), "***Blessed is He who sent down the criterion to His servant, that it may be an admonition to all creatures,***" (a*l-Furqan*, verse 1) and "***Say: "O men! I am sent unto you all, as the Messenger of Allah.***" (*al-A'raf*, verse 158)

(2) Narrated by al-Bukhari.

(3) ***Tarikh al-Tabari*** (401/2).

It is doubtless that residing amidst the target audience helps optimize the impact on them through words and actions and by serving as a role model. It provides the preacher with the opportunity to respond directly to any questions or queries, a style followed by Muslims from the early centuries: to live among the people, mingle with them as they observe the Muslims' morals and behavior, become influenced by them and love them, and love their religion through loving them. One of the factor that influenced other nations the most was the model behavior of Muslims, a moral conduct seldom witnessed in other nations.

The person intending to migrate to a non-Muslim country with the purpose of spreading the word of Islam has to be qualified to do so and equipped with the necessary Islamic culture and knowledge of the language in which he will address them: "***We sent not an apostle except (to teach) in the language of his (own) people, in order to make (things) clear to them. Now Allah leaves straying those whom He pleases and guides whom He pleases: and He is Exalted in power, full of Wisdom.***" (*Ibrahim*, verse 4) He should also have a profound conviction about his mission, have a good moral disposition and the ability to deal positively with people.

Muslims are in fact required to have, in every part of the world, voices that preach their religion in the tongue of the targeted populations. This is considered a collective duty of the entire Ummah by solidarity. If some discharge it properly and in sufficient numbers, the obligation falls away for the rest of the Ummah, otherwise the entire Islamic Ummah would be in sin and embarrassment.

Evidence of the lawfulness of Muslim residence under the sovereignty of a non-Muslim state is the stay of Muslims in Abyssinia, some for many years, after the emergence of the state of Islam in Medinah under the Prophet (PBUH). In fact, Jaafar Ibn Abi Taleb, may Allah be pleased with him, only came back to Medinah in year 7 AH for the conquest of Khaybar. The Prophet (PBUH) was so happy to see him that he said: "*I don't know which I am happier about: the victory of Khaybar or the return of Jaafar.*"[4]

The migration to Abyssinia is not the only example one can cite of the residence of Muslims in a land governed by a Christian king. One could easily argue that the Muslims' stay there was because they were under duress and persecuted and therefore were forced to migrate to this country and stay there. Neces-

(4) Narrated by al-Hakim on the subject of the First Migration (681/2).

sities give rise to exceptional rulings, as was the case with the Prophet and Muslims in Makkah under the oppressive reign of the infidel Qurayshis.

The reason this example is cited is because the Muslims' stay in Abyssinia lasted long after the Hijra to Medinah, the emergence of the Islamic State and the existence of an independent Islamic State wherefrom the message spread, where the Sharia was applied, and from where its military campaigns were launched. This leads us to believe that the Muslim can live in the care of a non-Muslim country and from where he is not forced to migrate as long as he lives there certain of his own safety and that of his family, religion and sanctities, and where he is not persecuted or led astray. Barring this, he would have the obligation of leaving this land lest he should be one of those whose souls are reaped by the angels whilst they are in sin.(5)

Some Muslims (especially the radicals among them) cast doubts on the legality of the residence of Muslims in non-Muslim lands, basing their argument on some hadiths reported on the Prophet (PBUH).

In one of these *hadiths* the Prophet is reported to have said: "*I am innocent of any Muslim who resides among the polytheists."* They asked "*Why O Messenger of Allah? He replied: 'Their fires shall not be within sight of each other.*"

Another *hadith* says: "*Whoever befriends or lives with a polytheist shall be his equal.*"

We need to carefully ponder these two hadiths and establish the authenticity of their chain of narration. If their narrative chain is found to be sound, then we will look at the text of the hadiths and whether what was inferred from them was correct or unacceptable.

In one version of the hadith, the Prophet said: "I am innocent of any Muslim who resides among the polytheists". The other version goes beyond that to read: "*I am innocent of any Muslim who resides among the polytheists. Their fires shall not be within sight of each other.*"(6)

---

(5) This is a reference to the verse: "***When angels take the souls of those who die in sin against their souls, they say: "In what (plight) Were ye?" They reply: "Weak and oppressed were we in the earth." They say: "Was not the earth of Allah spacious enough for you to move yourselves away (From evil)?" Such men will find their abode in Hell,- What an evil refuge! - Except those who are (really) weak and oppressed - men, women, and children - who have no means in their power, nor (a guide-post) to their way. For these, there is hope that Allah will forgive: For Allah doth blot out (sins) and forgive again and again."*** (*Nisaa*, verse 97-99)

(6) Narrated by Abu Dawood in ***al-Jihad*** (2654).

Some have inferred from these hadiths a total prohibition of residing in non-Muslim countries and *fatwas* were issued to this effect in many countries, alarming many Muslim expatriates in Europe and other parts of the world, and as diverse as the reasons for immigration have become in our times: education, medical treatment, work, commerce, embassy duty, fleeing from persecution, spreading Islam, teaching new converts and strengthening their faith and attachment to Islam. This has become all the more crucial since the world became a global village as described by many. In fact, in material terms,(7) it has become a rather small village.

The hadith on which this interpretation was based was reported by Abu Dawood and al-Tirmidhi on the authority of Jarir Ibn Abdullah as supported (***musnad***) and hurried (***mursal***), i.e. without actually mentioning the companion. They specified that the *mursal hadith* was the sound one. It was only reported by al-Nasaai as *mursal* after al-Tirmidhi reported it as such considering that it was closer to the truth. It was reported by al-Bukhari as *sahih* and *mursal*, as well as by Abu Hatim al-Razi and al-Daraqutni.(8) Resorting to *mursal hadiths* as evidence is the subject of well-known divergence in the science of principles, and most hadith scholars consider the *mursal hadith* as weak.

The *hadith's* text goes as follows: The Messenger (PBUH) sent an expedition to Khat'am. When they were attacked some of them sought safety by prostrating themselves, yet they were quickly killed. News of this reached the Prophet (PBUH) and he ordered that half the mandatory *diyya* (blood money) be settled to their families and said: "*I am innocent of any Muslim who resides among the polytheists.*" They asked "*Why O Messenger of Allah?*" He replied: "*Their fires shall not be within sight of each other.*" The last part of the sentence was meant to quantify the distance between them, i.e. they must stay far enough from each other not to see the lit fire of each other's camp.

The prophet decreed that only half the blood money be paid to their families because they brought it upon themselves and forfeited half the compensation(9) by choosing to live among infidels who were hostile to and fought Allah and the Messenger (BPUH). He was firm in disparaging such stay which implied lack of

(7) We say in material terms only because in moral terms it has grown even farther apart.

(8) Cf. ***Al-Badr al-Muneer*** (The Shining Full Moon), 163/9.

(9) In justifying the reduction of the *diyya* by half, Imam al-Khattabi said: "*They brought injustice upon themselves by living among the infidels and as result became equal to the person who causes his own death and therefore the crime-related compensation fell away from the diyya*". ***Ma'alim al-Sunan*** (Auspicious Examples from Prophetic Traditions) (437/3, 438), hadith 2530.

enthusiasm in upholding the cause of Allah and His Prophet. Allah (SWT) says in reference to this category of people: "***Those who believed, and adopted exile, and fought for the Faith, with their property and their persons, in the cause of Allah, as well as those who gave (them) asylum and aid,- these are (all) friends and protectors, one of another. As to those who believed but came not into exile, ye owe no duty of protection to them until they come into exile; but if they seek your aid in religion, it is your duty to help them, except against a people with whom ye have a treaty of mutual alliance.***" (*al-Anfal*, verse 72)

Allah (SWT) excluded the ruling of non-migrant Muslims because the hijra was an obligation at the time.[10] The Prophet's words "*I am innocent of any Muslim who resides among the polytheists*" meant that the Prophet was innocent of their blood if they were killed because they placed themselves in jeopardy by choosing to live among those who resisted the call to Islam and fought its state.

This meant that if the circumstances in which a text was revealed changed and the reason that motivated its existence ceased to exist, whether it was the desire to bring something good or ward off something evil, the ruling itself ceases to exit since it is generally accepted that a ruling's existence is conditional upon the existence (or end thereof) of the motive behind it.[11]

In corroboration of this hadith, the Musnad of Ahmed reports under 19238 that Jarir, may Allah be pleased with him, said: I appeared before the Messenger (PBUH) to pledge my allegiance to him and said: "*Give me your hand and lay your conditions as you know best. He said: 'I accept your allegiance that you may never believe in none besides Allah, that you pray, give charity, extend counsel to the Muslim and stay away from the infidels.*"

For record purposes, this *hadith* is weak and was narrated by Ibn Dawood (2787) on the authority of Samra ibn Jandab by Jaafar Ibn Saad, by Khubaib Ibn Suleiman Ibn Samra on his father, on Samra. This is a chain of narration that is unanimously recognized as weak.

---

(10) Migration was an obligation early in Islam for any new convert in order to join the Prophet and his companions in Madinah and reinforce the ranks of the Muslim community. When Makkah was conquered the need for migration was obviated and the Prophet (PBUH) said: "*There shall be no migration after the conquest but jihad and good intentions.*" Narrated by al-Bukhari on *Jihad* (2783), Muslim on Imara (1864) reported on Aisha and Ibn Abbas, may Allah be pleased with them.

(11) Cf. the author's book: ***A Study on the Jurisprudence of Sharia Principles between General Principles and Partial Texts***, pp. 168-170, and also ***Fiqh of Muslim Minorities: Life of Muslims in Other Societies***, page 38, both books published by Dar al-Shorooq, Cairo.

A Look at the Significance of these Hadiths:

If we take a close look at the content of these hadiths and their meanings, we will note the following:

First: These hadiths refer to 'polytheists' and to leaving the company of polytheists who were idol worshippers, but here we are talking of People of the Book, Christians in particular.

Second: When used back then, the term 'polytheist' referred to the fighting idol worshippers who declared their hostility to Islam and to the Messenger, prevented people from embracing Islam, raised their swords in the face of Muslims, oppressed them, tortured them and sent them into exile to force them to renege on their new-found faith.

Those were the people that Islam forbade Muslims to consort with, contrary to the peaceful infidels who did not fight Muslims in their faith and did not chase them out of their land. The Quran clearly sets this distinction in the following two divine verses: "***Allah forbids you not, with regard to those who fight you not for (your) Faith nor drive you out of your homes, from dealing kindly and justly with them: for Allah loveth those who are just. Allah only forbids you, with regard to those who fight you for (your) Faith, and drive you out of your homes, and support (others) in driving you out, from turning to them (for friendship and protection). It is such as turn to them (in these circumstances), that do wrong.***" (*al-Mumtahina*, verses 8-9)

Third: We need to determine the exact meaning of 'parting with the polytheist' as given in advice in these hadiths. What does 'parting' means here? Is it the physical or the moral parting of ways?

If we say that this parting is physical, it may mean moving from the House of Polytheism to the House of Islam, especially if the Muslim is harassed in the non-Muslim land. This could be the meaning of the words of Bahz Ibn Hakim: "*Part ways with the polytheists and join Muslims*", which was the duty of everyone who had converted to Islam: to migrate from his town to Madinah until the conquest of Makkah. It was thus that Islam grew and proved its existence and power and that is how the Prophet (PBUH) became the master of the Arab Peninsula, after which he (PBUH) said: "*There shall be no migration after the conquest, but jihad and good intention. If you are called upon to Jihad, heed this call.*"[12] There is no ambiguity in here if we look at the words of Bahz Ibn Hakim.

(12) Agreed upon, al-Bukahri on *Jihad* (2783).

In the same vein, some versions of this *hadith* used the phrase *"profess your innocence from the infidel*". Innocence here does not mean ceasing to live among the infidels. In fact, it simply means professing that one no longer shared the infidel's belief in polytheism, his denial of the Day of Judgment, his engaging in unlawful pursuits or banning the lawful. This was echoed in the message sent by the Messenger (PBUH) to Caesar, to the Christian princes and to other People of the Book and mentioned in the chapter of al-Imran: "***Say: "O People of the Book! come to common terms as between us and you: That we worship none but Allah; that we associate no partners with him; that we erect not, from among ourselves, Lords and patrons other than Allah." If then they turn back, say ye: "Bear witness that we (at least) are Muslims (bowing to Allah's Will).***" (*Al 'Imran*, verse 64)

Spreading the Word of Allah and Consolidating Faith:

The lawfulness of residing in non-Muslim countries for legitimate reasons is further consolidated by the fact that Islam ordered all Muslims to disseminate the word of Allah to all mankind in the hope of spreading the mercy that Allah bestowed on humanity when He sent Mohammed. To achieve this, one needed to live among the people he intended to preach to, to know who converted and help them consolidate their faith since it is essential to foster practical Islam in the new converts. One of the unequivocal rules of *fiqh* is that anything without which a duty cannot be fulfilled becomes a duty in itself.

This is exactly what happened throughout the history of Islam and it is through this that Islam spread to and took roots in many lands. Some of these lands were never conquered through armies, and if Islam spread there it was because of the morals upheld by Muslims, their exemplary behavior, their good understanding of the essence of Islam and their presentation of faith as uncomplicated and hardship-free.

A number of major countries fall in this category such as Indonesia and Malaysia where Islam was brought by Muslim merchants who travelled there from Hadramout and its surroundings. They were neither scholars nor professional preachers. The inhabitants of these countries loved them and through them loved their religion which they embraced in droves. They lived amidst them and intermarried with them until they became part of their society. Their descendants continue to live in these countries as original inhabitants.

The same applies to many countries in Africa where Islam spread through co-existence, marriages and *Sufi tariqas* (religious orders).

If the permanent ruling was the prohibition of Muslim residence in the lands of the infidels, Islam may not have spread and we would have barred the way before it, of our own doing.

The People of the Book were easier to deal with than others in view of the many rulings Islam issued about them, placing them closer to Muslims than pagans and others. For example, Islam allowed Muslim men to marry non-Muslim women, which is a vanguard step on the path of tolerance of the transgressors, a step seldom allowed by other faiths.

Thus, bonds of marriage are established between the Muslim man and his in-laws since the woman has become his partner and the mother of his children. These children have the duty of filial bonds with their mother and kin bonds with their grandparents, maternal uncles and aunts, maternal cousins, all of whom acquire the rights of relatives with whom the family ties that Allah ordained must be entertained: "***But kindred by blood have prior rights against each other in the Book of Allah. Verily Allah is well-acquainted with all things.***" (*al-Anfal*, verse 75)

Such bonds provide ample cause for people to live with their mothers, grandparents or uncles and aunts if there is someone to teach them about their religion, if they are able to perform their rites and if there is no danger to their faith if they stayed

Acquiring the Nationality of a European Country:

We have seen how some scholars have cast doubts on the lawfulness of the residence of Muslims in non-Muslim countries, these being outside the House of Islam. We have responded to and refuted these doubts with evidence from Sharia sources and showed that the residence of a Muslim in Europe and other parts of the non-Muslim world is valid in terms of religion and may even be required either as a preference or as a duty judging by the objectives sought from such residence.

Another aspect related to the residence issue is that of acquiring the nationality of the European country of residence, French, British, German or other.

Surely, those who object to the idea of residing in Europe and other parts of the non-Muslim world would de facto refuse the acquisition of a foreign nationality.

We have seen some scholars and preachers adopting extreme positions and prohibiting Muslims from carrying any non-Muslim nationality. The topic was mulled over at the fiqh symposium held at the Islamic European Faculty in France and attended by such renowned scholars as Sheikh Mosatafa Zarqa, Sheikh Abdelfattah Abu Ghadda, Sheikh Manna'a al-Qattan and others. Naturalization was one of the items on the agenda and the symposium concluded that it was lawful and refuted the doubts cast by radical scholars.

One of the scholars with an extreme position on rejecting naturalization in non-Muslim countries was Hassan al-Banna, may he rest in peace. His famous published fatwa stated:

> "*The mere fact of the Muslim's acquisition of the nationality of any country is a radical sin that warrants Allah's contempt and severe punishment. Evidence of this is found in the hadith narrated by Abu Dawood on the authority of Anas that the Prophet (PBUH) said: "Whoever affiliates himself to other than his pro-genitor or associates himself with other than peers shall be repeatedly cursed until the Day of Judgment."*[13] *There is a holy verse that runs along these lines and where Allah (SWT) says: "**Let not the believers Take for friends or helpers Unbelievers rather than believers.**" (Al 'Imran, verse 28) The situation is worse when such befriending gives rise to rights and obligations that obviate allegiance to the Muslims, destroy their bonds and cause the Muslim to stand beside the infidel against his own Muslim brother. It is therefore safer for the Muslim to leave such lands when his residence there is only possible through this, and Allah's earth is large and wide: "**He who forsakes his home in the cause of Allah, finds in the earth Many a refuge, wide and spacious,**" (Nisaa, verse 100) And Allah knows best."*[14]

In my opinion, acquiring the identity of a non-Muslim country may be considered at times as a betrayal of Allah, of the Messenger and of the believers in the case of war between Muslims and the enemies of Islam. For that reason, Tunisian scholars decreed, during the French occupation of the country, that accepting the French nationality would be considered tantamount to reneging on

---

(13) Narrated by Abu Dawood in *al-Adab* (5115) and by Anas, and authenticated by al-Albani in *Saheeh al-Jami'e* (5987).

(14) ***Al-Ikhwan al-Muslimun*** magazine, year 4, 4th issue, page 11, dated 14 Safar 1355AH/5 May 1936, quoted from (From the ***Heritage of Imam al-Banna***), 4th volume, *Fiqh and Fatwa*, pp. 229-230.

the faith and a desertion of Islam. Through naturalization the person surrenders his loyalty to his homeland and pledges allegiance to the colonizer. Prominent theologians issued a fatwa convicting of apostasy anyone who did so considering this fatwa a means of struggle against the occupier and a weapon of jihad. But in ordinary times, the Muslim who needs to travel to non-Islamic countries derives power and immunity from naturalization. He cannot be evicted by authorities and he has the right to vote at municipal, legislative and presidential elections. This confers power on Muslims in these countries as election candidates seek to win their favor. Carrying the nationality is not evil or good per se, but needs to be judged in terms of the benefits or disadvantages the acquisition of this nationality entails.

To be fair, we need to put the fatwa of al-Banna and those who agreed with it within its context. He leaned to the extreme in matters which we may today deal with lightly in light of progress in the world, the proximity of people to each other, and the status transformation in some countries from hegemonic colonial powers into allies or partners of Muslims. Furthermore, Mr al-Banna wrote some of his ideas when he was young and imbued with ardor, enthusiasm, and impetuousness in confrontation, and as we know age plays as much of a role as environment and juncture. And in any case, no one can pretend to know everything and everyone is an interlocutor to take from and to respond to except the one who never uttered a word in vain, the Prophet, peace be upon him.

Does the West Accept Muslims as Full-Fledged Citizens with the Same Rights as Everyone?

Most Islamic studies on the integration of Muslim minorities in the West and acceptance of the idea of citizenship -which naturalization enables the Muslim to co-exist with the original inhabitants and acquire the rights granted de facto to them-, argue that the obstacles to integration and citizenship acceptance are the Muslims themselves. In fact, they resist the idea of integration, particularly the first generations of migrants who remain strongly attached to their home country and wary of integration within their second home. Most often, they hold misconceptions and prejudices and accept them, wrongfully, as the true religion, without taking the trouble of discussing these ideas with seasoned scholars who combine modernity with tradition.

In light of this, the European Council for Iftaa and Research, from the day of its creation to date, has endeavored to publish at each of its sessions a statement

calling upon Muslims to integrate their host countries, interact with the populations and shun isolation. The statement highlights the importance of positive participation in anything that could advance that country and ensure its prosperity. In doing so, they would project an image of dynamism, seriousness and sincerity in serving their host country while safeguarding their own faith, rites, morals, values and the traditions that set them apart and that are dictated by their religion. Thus, it becomes possible to achieve the equation that many think impossible: rectitude without isolation and integration without dissolution.

This is the position taken by Islamic science and thought on the issue of integration and citizenship of Muslim minorities in Europe and in the West in general. But the clear majority of Muslim scholars and researchers in general have omitted to speak about the West's position as to accepting this naturalization of Muslims and their integration. While we stated earlier that the obstacle to integration lies with Muslims themselves, the idea that Europe or the West may themselves have problems with this integration is a novel one. The liberal philosophy that prevailed in the West, particularly in Western Europe and North America, welcomed the integration of Muslims and other migrants of the white race and granted them the same rights as natives. In general, there was no discrimination between white, black or coloured as these rights were considered universal and shared by all human beings, irrespective of their skin colour, colour of eyes, shape of nose or head, or softness of hair. This trend was further encouraged by the fact that the first waves of migrants were largely bent on securing a livelihood and did not care much about Islam as a dogma and as a mode of behaviour.

However, in the last few years, and with the revival of Islam -and particularly after 9 September 2001-, the situation changed drastically. Muslims became the object of treatment that was largely marked by abuse, provocation, denigration and sometimes even aggression, for no reason other than being Muslims.

This resulted from changes in the policies of some ruling regimes such as the policy of former US President George Bush, of the Christian Zionist radical rightwing in America, the former British Prime Minister Tony Blair, of Angela Merkel from Germany and others. Most of these changes were the result of Zionist lobby influences which feed intelligence services in Western countries with false or fabricated information about Muslims and their call. They blow out of proportion the weight of extremists and radicals as if they represent the majority of Muslims when they are in fact no more than a handful who are shunned and despised by the clear majority of people.

It is therefore only natural that radical right wing parties came to exist in Europe and based their programmes on declarations of animosity towards migrants, on the need to deport them, purge the country of their presence or at least marginalise them in such a way as to strip them of any role in society.

Sometimes, the reversal of positions towards Muslims is the outcome of a change in the prevailing philosophy. This change impacts on the general public opinion and is adopted and promoted by the media.

Rise of Reactionary Philosophies in France

One example of this is France, considered the 'motherland of freedom', the cradle of liberalism and the breeding ground of human rights.

Voices rose in France in criticism of the philosophies of the past, considering them idealist and disconnected from reality. They called for a new philosophy that would be the anti-thesis of the old philosophies which misled the French mind by feeding it with untruths and misperceptions. Such philosophies are considered by researchers as 'reactionary' and as serving no purpose other than to throw France back to the Middle Ages. They are seen as the opposite of the theses championed by such Enlightenment philosophers as Voltaire and Rousseau and freedom and humanism philosophers like Sartre, Foucault and Althusser.

The Tunisian writer Lass'ad El Wa'er penned two articles in the Tunisian al-Sabah newspaper (published on 3rd and 4th April 2007), titled "***Reflections on Contemporary Philosophy in France***". In these articles, he exposed this new reactionary philosophy or thought as embodied by Alain Finkielkraut who migrated from the left to the radical right and is supported by a few young philosophers and intellectuals such as Bernard Henri Lévy and André Glucksmann.

This philosopher named his new reactionary trend as self-reconsideration and review movement and attacked the left wing and progressive trend that he used to represent, claiming that by believing in the total equality of all races, classes and individuals it had become more akin to a myth.

In his book "***The Failure of Thought***", published in 1987, he blatantly declared a radical critical orientation of philosophy or contemporary culture, describing it as lax and excessively liberal, particularly in its unethical and unrealistic diagnosis of the problems of modern Western societies, such as the misunderstanding reigning between cultures in France, and the problems of unemployment and academic failure.

In addressing the failure of Arabs or African migrants to 'adapt' to the French lifestyle, Finkielkraut and Glucksmann do not attribute this to the class, economic and social injustice affecting and exerting pressures on migrant minorities, but to the Arab or African mindset which cannot possibly adapt to the scientifically and academically advanced Western mindset.(15)

These thinkers seem to be revisiting the racial superiority and the white man's supremacy theory and the thesis that he was born to reign and rule, and that all other races were created to be led and to follow. Such an impractical theory has become superseded and was swept away by theories built around the premise that all men are equal in mind, soul and human traits.

Such is the thought being promoted in France which is one model of the Western world. The West, after being a pole of attraction for Muslims has become a power of rejection, paining to contain them as if reverting back to the old author's saying: the East is the East, the West is the West and they shall never meet.

A Moment of Reflection:

Out of concern for justice and to reach the truth, we need to take a moment to ponder this issue. Is the thought of these 'reactionaries' representative of the general opinion in Europe and America? Does it represent one segment of philosophers who have been blinded by fanaticism, can no longer see the truth and have failed to perceive matters at a deeper level that goes beyond the surface of matters and men and perceives man as an inherently human being with the same core and essence but different lands, shapes, levels and classes.

I tend to believe that what will ultimately prevail will be the humanistic view, the universal concepts which transcend what divides men and sets them apart, to focus only on that which unites them; and many are the factors of unity and the best shall always prevail as the Quran says: "***For the scum disappears like froth cast out; while that which is for the good of mankind remains on the earth.***" (*Ra'ad*, verse 17)

It is doubtless that reality imposes itself. Muslims have become part and parcel of European reality and some have become members of parliaments in various European countries. Some are members of the House of Commons and

(15) Cf. The Tunisian ***al-Sabah*** Magazine, 3-4 April 2007, by Las'ad al-Wa'er: "*Musings on Contemporary Philosophy in France*".

the House of Lords, members of ruling or opposition political parties and some are even sitting comfortably on ministerial seats. It is no longer possible - nor is it useful - to consider wiping out the Muslim presence in Europe or America, particularly since some of this presence is original and not migrant.

To the contrary, only good will come out of the continuity of this diversity. The universe in its entirety is built around the concept of diversity and what the Quran calls the 'difference of hues.(16) Through this culture mix, civilizations interact and each gains from its interaction with the other, everyone confident in sharing the common root of humanity: "***O mankind! Reverence your Guardian-Lord, who created you from a single person, created, of like nature, his mate, and from them twain scattered (like seeds) countless men and women.***" (*Nisaa*, verse 1)

Post 9/11 is an Exception:

The aftermath of 11 September 2001 events is an exceptional time and cannot define the entire future of humanity. It is an exceptional period of time and will come to an end allowing waters to reclaim their normal course.

Muslims in Europe - and America as well - have to be strong and patient as they endure this period and the inconveniences and disadvantages inherent to it. They have to prove that they are the bearers of a universal message, that their religion contains concepts, values and morals that give them ability to co-exist with their neighbours, the nationals of their host country, thanks to the morals of the believers and the virtues of the righteous, particularly since these hosts have been allotted, in the eyes of Muslims, special treatment as People of the Book, going so far as to allow the Muslim man to marry into non-Muslim families.

A Muslim with good knowledge of his faith will have no difficulty in integrating a Western society, interacting with its members and adapting to it without relinquishing his faith or the obligations ordained by Allah for him, or engaging in what he was warned against.

Today, the general rule within Western societies is secularity, a state reached after clashes with the Western Church institution that represented religious power.

---

(16) In reference to the divine verses: "***And among His Signs is the creation of the heavens and the earth, and the variations in your languages and your colors: verily in that are Signs for those who know.***" (*Arrum*, verse 22), and also: "***Seest thou not that Allah sends down rain from the sky? With it We then bring out produce of various colors. And in the mountains are tracts white and red, of various shades of color, and black intense in hue.***" (Fatir, verse 27)

This Church promoted stagnation against liberty, darkness against light, and myth at the expense of science. It stood with feudal masters against the peasants and with the kings against the people. It was no wonder that the masses revolted against the ecclesiastic institution and stripped it of political power, reducing it to spiritual only, thus, separating religion, i.e. the Church, from state or society. These societies found out that their interests were better served through the principle of secularity. But our societies never felt that need because circumstances differ and history differs.

In principle, secularity is 'neutral' towards religion, neither supporting nor fighting it. The Muslim can therefore live within these societies, practicing the rites of his faith and avoiding what Allah forbade, free from any pressure to relinquish his religious obligations or sin. And it is so stipulated in constitutions and human rights' charters, guaranteeing religious freedom for all men.

There are, however, some secular systems that fail to honour the neutral position vis-à-vis religions and sometimes interfere in ways that negate religious freedom and personal freedom, two freedoms that are sacred in most philosophies and religions.

The *Hijab* Issue in France:

One example of this is the debate raging in France about veiled Muslim women, particularly students in French schools who were legally banned from accessing their schools while veiled.

The justification was a claim that the '*hijab*' was a religious symbol and no religious symbols should be allowed in schools because they set some students apart from the rest by their religion.

Responding to this with arguments that refuted such reasoning, I said that the hijab was not a religious symbol in any case because religious symbols have no other function but to advertise the religion of the person sporting them, as is the case with the cross, for example. The *hijab* has a well known function, namely to conceal specific parts of the woman's anatomy such as hair, neck and chest that women are forbidden to uncover before strangers. Therefore, the Muslim woman is not required to cover up before women, nor before close male relatives. A religious symbol is worn before all.

Wearing the cross - the religious symbol by excellence - has not been banned in French schools, only large crosses were banned and no woman wears them in any case.

When the hijab controversy erupted in France and gained in intensity, I wrote to the former French president Jacques Chirac a letter in which I explained that banning women from wearing the veil runs counter to the principles of the French Revolution: freedom, brotherhood and equality.

The decision was against freedom because it impinged upon religious freedom and personal freedom.

In terms of religious freedom, it forces Muslim women to disregard their religious teachings, disobey Allah's injunctions as clearly stated in the Quran: "***That they should draw their veils over their bosoms.***" (*Nur*, verse 31)

In terms of personal freedom, the decision interferes in the way a woman chooses of her free will to dress. Why should she be forced to remove it while others dress in such revealing clothes as miniskirts and micro-skirts with no one raising an eyebrow?

It also runs counter to the principle of brotherhood because it makes the Muslim woman feel persecuted in her religion and forced to disobey Allah's orders. Others are free to dress provocatively while she's denied the right to dress demurely and decently. Such feelings impact negatively on her psyche and spark feelings of oppression, a far fry from the brotherliness advocated by the French Revolution.

As for impinging upon the principle of 'equality', it is clear and obvious for where is the equality between a student who dresses as she pleases and goes to school, and another one who is forced to wear what she is not happy about, and should she object, would be expelled from school.

Position of the European Council for Iftaa and Research:

Our Muslim brothers in Europe were fortunate enough to understand the nature of the times and that it was a time of institutions, not individuals no matter how intelligent they are. Institutions lay roots and have the advantage of longevity.

For such reason, they built mosques, schools, clubs, associations and various centres to meet their diverse and multiple spiritual, intellectual, social, economic, sports and leisure needs.

One of these institutions is the European Council for Iftaa (jurisprudence) and Research which filled a tremendous gap in how new issues and challenges

of the Muslim minorities are tackled and resolved from a religious point of view. These issues may largely differ from those of predominantly Muslim societies and may require partial or entire, selective or drafted, collective or individual new jurisprudence. With its diverse structure, the Council represents this form of collective and specialised ijtihad and endeavours to help Muslims in Europe live in observance of their religion and morals with their non-Muslim neighbours without relinquishing any rule of their Sharia and as long as they remain faithful to their roots, mindful of their objectives and in pursuit of Allah's benediction.

Since its creation, the European Council for Iftaa and Research[17] has been urging Muslim minorities in every country to be active members of their host country and consider themselves part of it, co-exist with its population and interact with its youth, in all fidelity and serenity, while they remain faithful to their values, proud of their faith, and continue to perform their rites and steer clear of extremism or laxity. Allah (SWT) says: "***Thus, have We made of you an Ummat justly balanced, that ye might be witnesses over the nations, and the Messenger a witness over yourselves.***" (*al-Baqara*, verse 143)

(17) The European Council for Iftaa and Research was established in Ireland in 1997. It has as a President, Dr Yussuf al-Qaradawi, and as a Secretary General, Sheikh Hussein Muhammad Halawa.

L'ISLAM AUJOURD'HUI

Revue périodique de l'Organisation islamique pour l'Education, les Sciences et la Culture -ISESCO-

Publiée en trois langues : l'arabe, l'anglais et le français

N° 28 - 27e année

1433H / 2012

Vision islamique de la citoyenneté : Citoyenneté du musulman dans une société non-musulmane

Dr Yussuf al-Qaradawi(*)

Nous traitons dans cet article de la citoyenneté des musulmans qui vivent dans des sociétés non musulmanes, autrement dit : les minorités musulmanes qui résident en Europe, en Amérique, en Extrême Orient et en Afrique.

Quel regard les populations originaires de ces pays portent-elles sur ces musulmans, notamment sur ceux parmi eux, qui ont obtenu la nationalité du pays ? Continuent-elles à les considérer comme des étrangers venus d'ailleurs bien qu'ils aient la nationalité du pays ? Ou est-ce qu'elles les considèrent comme des concitoyens jouissant des mêmes droits et soumis aux mêmes obligations bien qu'étant de religion, de couleur, ou d'origine différents ?

Comment les musulmans eux même perçoivent-ils leur position dans la société d'accueil ? Font-ils partie intégrante de cette société ou continuent-ils à se considérer étrangers à cette société ? Ont-ils tendance à s'isoler et à se recroqueviller sur eux-mêmes ou est ce qu'ils s'intègrent à la société et interagissent avec elle, en l'influençant et en étant influencés par elle ?

Pour répondre à ces questions il convient d'abord d'éclaircir certaines vérités ou certains préceptes de la charia.

1. Quelle est la règle en ce qui concerne la résidence dans des pays non musulmans ?

2. Quelle est la règle en ce qui concerne la naturalisation par l'acquisition de la nationalité d'un pays non musulman ?

3. Si l'on part du principe que cette résidence et cette naturalisation sont licites, qu'en est-il de l'intégration au sein d'une société non musulmane ?

(*) Président de l'Union mondiale des ulémas musulmans et Président du Centre d'études sur la Sunna et la Sirah à Doha.

4. Est-il légitime pour un musulman d'accepter «la citoyenneté» du pays d'accueil, d'en devenir un membre à part entière ayant les mêmes droits et les mêmes devoirs, ou au contraire lui est il interdit de témoigner sa loyauté envers ce pays, se souciant de son développement, le défendant contre toute agression y compris si l'agresseur est un pays musulman ?
5. Quelle attitude adopter dans le cas où la minorité musulmane choisit l'intégration au sein de la société d'accueil et que cette société impose à ces musulmans des restrictions, les rejette et les traite comme des étrangers ?

La résidence dans un pays non-musulman

La règle concernant la résidence dans un pays non musulman diffère en fonction de l'attitude de la population de ce pays et sa position vis-à-vis de l'islam et des musulmans.

Certains pays oppriment tous les croyants en général et s'opposent à la religion. Ce fut le cas des pays communistes qui avaient adopté une philosophie fondée sur l'athéisme et le déni de Dieu, des prophètes et de l'idée de résurrection. Cette philosophie soutient que Dieu n'existe pas, que la vie n'est que matérielle et que la religion est l'opium des peuples. Elle s'oppose ainsi à toutes les religions et plus particulièrement à l'islam religion du Jihad et de la résistance. La religion qui incite les peuples à rejeter le communisme (à la fois en tant qu'idéologie et que système) et le combat qu'ils considèrent comme une forme de colonialisme impérialiste.

Les musulmans originaires de ces pays n'ont d'autre choix que de s'armer de patience et de persévérance et de s'accrocher de toute leur force à leur religion se pliant aux circonstances contre lesquelles ils ne peuvent rien. Dieu a dit : «**A l'exception de qui y fut forcé et de qui le cœur resta imperturbable dans sa foi**» [sourate les abeilles, verset 106], «**Quiconque cependant l'aurait fait sous la pression de la nécessité, et non pas d'intention, non plus qu'agressivement, Dieu lui sera Tout pardon**» [les Abeilles, 115].

A celui qui choisit de quitter un pays musulman pour aller s'installer dans un pays non musulman nous disons : Il ne vous est pas permis de quitter votre pays musulman, pays où vous pouvez exercer votre culte, vous acquitter de vos devoirs religieux, pour un pays où vous n'aurez pas la liberté de pratiquer vos croyances, où vous subirez des pressions et où il vous est interdit de vivre en conformité avec l'islam, encore moins de travailler pour sa promotion.

C'est ce qui est illustré par le hadith du prophète : «Aucun croyant ne devra s'avilir lui-même» ils (les compagnons) ont répondu : «Comment peut-il s'avilir ô prophètes» il a répondu «en s'imposant des adversités dont il n'a pas la force de venir à bout».(1)

L'islam oblige, certes le musulman à quitter son propre pays lorsqu'il y vit sous la contrainte et ne peut s'acquitter des obligations constituant les piliers de l'islam, situation que le Coran qualifie de «zulu an-nafés» (le tort fait à soi). Dieu a dit à ce propos : «**Ceux dont les anges enlèveront les âmes alors qu'ils sont dans le tort à eux-mêmes, les anges leur diront à ce moment là : ''où en étiez-vous. Ils diront : ''nous étions impuissants sur terre**''». Alors les anges diront : «l**a terre d'Allah n'était elle pas assez vaste pour vous permettre d'émigrer ? Voilà bien ceux dont le refuge est l'Enfer. Et quelle mauvaise destination ! (97). A l'exception de ceux parmi les hommes, les femmes et les enfants qui sont impuissants et donc incapables de faire autrement et ne trouvent aucune voie**» [Les femmes, versets : 97-99]. Alors si l'islam oblige le musulman à émigrer en quittant son propre pays dans ces conditions, comment le musulman peut il choisir d'émigrer vers un pays où il se fait du tort ?

D'autres pays jouissent, au contraire d'un climat de liberté : liberté religieuse, liberté de penser, liberté politique etc. Ces pays n'interfèrent pas avec le culte et croyances des individus et leur laissent toute latitude de faire leur propre choix. Ces pays sont démocratiques et libéraux même s'ils font de la laïcité leur devise. Etre laïc consiste à adopter une attitude de neutralité vis-à-vis de la religion, sans en être ni le défenseur ni le détracteur, et à considérer la religion comme faisant partie de la sphère privée ne concernant que l'individu et son Dieu.

C'est ce climat qui a d'ailleurs régné en Europe et en Amérique tout au long du vingtième siècle et qui a permis d'accueillir des millions de personnes venus pour de multiples raisons des pays arabes et musulmans, notamment pour répondre au manque de main d'œuvre que l'Europe a connu après la Deuxième Guerre mondiale.

Dans ces conditions je ne vois aucun inconvénient à ce qu'un musulman immigre dans les pays européens à majorité chrétienne et s'y installe pour des raisons légitimes : pour y travailler, subvenir à ses besoins… *a fortiori* si les conditions de vie sont plus dures dans son pays d'origine. Il est licite pour un musulman d'aller de pays en pays à la recherche de meilleures conditions de vie.

(1) Rapporté par Ahmad (23444).

La France, l'Allemagne, la Grande Bretagne, etc. ont accueilli des millions de travailleurs dans différents secteurs, venant d'Afrique du Nord, d'Afrique subsaharienne, de Turquie et de la péninsule indienne.

Le poète n'a-t-il pas dit à ce sujet :

L'empire de Dieu se déploie vaste sous les cieux

Les vivres et les biens qu'Il octroie sont abondants

Dites à ceux qui essuient une humiliation

Si vous vous sentez à l'étroit, la terre de Dieu vous est bien vaste

Dieu a dit : «**Et d'autres qui voyageront sur la terre, en quête de la grâce d'Allah**» [l'Enveloppé, verset 20)]

Il en va de même de la quête de la tranquillité. Un musulman a le droit de chercher la sécurité pour lui et pour sa famille s'il est menacé dans son pays, s'il craint d'être arrêté, jeté en prison ou jugé par un tribunal militaire dans un procès injuste ou s'il craint pour sa famille, ses enfants ou ses biens, ou si encore, il a eu connaissance de cas similaires où ses frères ont souffert et veut trouver un lieu où il peut pratiquer sa religion en toute quiétude. L'homme a autant besoin de se sentir à l'abri de la peur qu'il a besoin de nourriture pour lutter contre la faim ; Dieu a dit : «**Qui les a nourris contre la faim et apaisés de la crainte!»** [Quraych, verset 4)]

Le Coran considère la faim et la peur comme les pires maux de la société : «**Allah lui fit alors sentir la faim et la peur [en punition] de ce qu'ils faisaient**» [les Abeilles 112)]. Ainsi lorsque Joseph que la paix soit sur lui rencontra ses parents et ses frères en Egypte, il leur dit : «**Entrez en Egypte, en toute sécurité, si Allah le veut!**» [Yusuf, verset 99].

Tout comme la quête de moyens de subsistance et de la tranquillité est légitime, il en va de même pour la quête de l'instruction, notamment lorsqu'il s'agit de spécialités pointues, non disponibles dans les pays musulmans ou lorsqu'elles sont disponibles, sont de qualité médiocre. Le musulman émigre alors pour étudier puis se plait dans le pays d'accueil et décide, pour une raison ou une autre, de s'y installer.

Il ressort de ce qui précède que la résidence dans les pays non musulmans se justifie, à condition que le musulman ne craigne ni pour sa religion, ni pour sa famille et ses enfants des conséquences de la dissolution des mœurs et de la licence qui sévissent dans ces sociétés, et qu'il ne soit pas menacé par le matérialisme qui y règne et qui ne respecte ni la religion ni les croyances d'autrui.

En effet dès qu'il se sent menacé dans sa religion et celle de ses enfants, le musulman doit quitter ces pays, même s'il y gagne beaucoup d'argent. Quel intérêt y a-t il à s'enrichir ici-bas si l'on doit, pour ce faire, perdre le bénéfice de l'au-delà ? A quoi sert la richesse si le prix à payer est les enfants ?

J'ai eu l'occasion de m'adresser, dans les années soixante-dix, à mes frères musulmans résidant en Amérique et je leur ai dit : «Si vous sentez que votre religion et celle de vos enfants est menacée, quittez ce pays et repartez le plus tôt possible, car rien n'est plus précieux pour un musulman que sa religion. Dieu n'a-t-il pas dit : «**Si vos pères, vos enfants, vos frères, vos épouses, vos clans, les biens que vous gagnez, le négoce dont vous craignez le déclin et les demeures qui vous sont agréables, vous sont plus chers qu'Allah, Son messager et la lutte dans le sentier d'Allah, alors attendez qu'Allah fasse venir Son ordre. Et Allah ne guide pas les gens pervers**» [le Repentir, verset 24]

Outre les objectifs précités, soulignons un objectif encore plus noble, celui d'immigrer dans ces pays pour y diffuser et y propager l'islam, conformément à l'injonction de Dieu : «**Ô Messager, transmets ce qui t'a été descendu de la part de ton Seigneur. Si tu ne le faisais pas, alors tu n'aurais pas communiqué Son message**.» [la Table servie, verset 67].

Il nous incombe de suivre les traces du messager de Dieu et de diffuser sa foi. Notre Oumma a le même devoir que celui dont Dieu avait chargé son envoyé qui a dit à ce propos : «vous êtes plutôt envoyés comme faciliter les choses et non pour les rendre difficiles».(2)

Le compagnon du prophète *Rab'i ibn 'Aamir a dit à Rostom, chef militaire des Perses : «Dieu nous a envoyés pour libérer l'Homme de l'asservissement aux hommes, Dieu nous a envoyé pour amener l'Homme à la soumission au Seigneur des hommes, à Allah (soubhaanahou wa ta'aala) et pour rendre l'homme obéissant uniquement à Allah. Dieu nous a envoyé pour libérer les humains de l'injustice des autres religions vers l'égalité de l'Islam*»(3).

Le caractère universel de l'islam se manifeste ainsi clairement, Dieu en s'adressant à son messager a dit : «**Et Nous ne t'avons envoyé qu'en miséricorde pour l'univers**» [les prophètes, verset107]. Il a dit également : «**Qu'on exalte la Bénédiction de Celui qui a fait descendre le Livre de Discernement sur Son serviteur, afin qu'il soit un avertisseur à l'univers**» [le Discernement, verset 1] et «**Ô hommes! Je suis pour vous tous le Messager d'Allah.**» [Al-Aaraf, verset 158].

(2) Rapporté par Al-Boukhari.
(3) Voir *Târikh Tabari* (401/2).

Résider parmi ceux que l'on veut amener à l'islam, permet d'avoir un impact plus fort sur eux, non seulement par la parole mais également par le comportement et le bon exemple et de répondre immédiatement à leurs interrogations. C'est d'ailleurs cette approche que les premiers musulmans avaient privilégié : ils choisissaient de vivre parmi les gens et de les fréquenter, leur permettant ainsi de les observer, d'apprécier leur morale et leur comportement, de les aimer et aimer, par la même leur religion. Rien n'a eu plus d'influence sur ces peuples que le comportement exemplaire des musulmans, comportement qu'ils n'avaient jamais observé chez les autres nations.

Le musulman qui choisit de se rendre dans ces pays non musulmans pour y prêcher l'islam et diffuser son message, se doit d'être qualifié pour le faire et d'avoir une grande culture islamique, une bonne maîtrise de la langue parlée par les gens qu'il veut amener à l'islam. Dieu a dit : «**Et Nous n'avons envoyé de Messager qu'avec la langue de son peuple, afin de les éclairer. Allah égare qui Il veut et guide qui Il veut. Et, c'est Lui le tout Puissant, le Sage**» [Ibrahim, verset 4]. Il doit croire en sa mission, faire preuve d'une éthique irréprochable et d'une capacité à bien communiquer avec les gens.

Les musulmans doivent disposer, dans tous les pays du monde, de voix justes qui s'élèvent pour prêcher leur religion. Il s'agit d'une obligation par consensus (*fard kifaya*) qui incombe à toute la Oumma sur la base de la solidarité. Ainsi quand des musulmans s'acquittent avec succès et en nombre suffisant de cette mission, c'est le péché de la Oumma entière qui est absoute, dans le cas contraire c'est toute la Oumma qui est dans l'embarras et le péché.

Certains musulmans exilés en Abyssinie, avaient choisi de prolonger leur résidence dans ce pays au-delà de l'instauration de l'Etat musulman sous le commandement du prophète à Médine. C'est une preuve que de la résidence des musulmans en terres gouvernées par les non musulmans est licite. Ainsi, Jaâfar ibn Abou Tâleb n'est retourné à Médine que sept ans après l'hégire, suite à la conquête de Khaybar. Son arrivée avait tellement fait plaisir au prophète qu'il avait dit : «Je ne sais laquelle des deux nouvelles m'a fait le plus plaisir : la conquête de Khaybar ou l'arrivée de Jaâfar»[(4)].

L'émigration des musulmans en Abyssinie et la décision de certains d'y demeurer, alors même que l'Abyssinie était régnée par un monarque chrétien, n'est

(4) Rapporté par Al-Hakim dans la première Hijra (681/2).

pas seule en cause ici : car l'on pourrait effectivement rétorquer que ces musulmans persécutés étaient obligés d'émigrer vers ce pays et de s'y s'installer, par la force des choses, tout comme le prophète et ses compagnons vivaient à la Mecque sous le règne des Quraychites polythéistes (associateurs).

Ce qui nous intéresse ici c'est qu'ils soient restés en Ethiopie après l'hégire vers Médine et l'instauration d'un Etat musulman dans cette ville, autrement dit après l'établissement d'une «dar al islam» indépendante, une base d'où l'islam pouvait diffuser et étendre son message, ou faire régner sa charia et mettre ses soldats en mouvement. C'est donc la preuve qu'un musulman peut vivre dans un pays non musulman et qu'il n'est pas tenu de le quitter s'il y vit en toute quiétude, ne craignant ni pour sa vie, ni pour sa religion ni pour les siens et que personne ne l'opprime et le détourne de sa religion….dans le cas contraire il a l'obligation de quitter ce pays pour qu'il n'y soit pas rappelé à Dieu dans la situation de celui qui a fait du tort à lui même(5).

Certains musulmans, notamment les plus radicaux, évoquent des arguments spécieux (*shubûhât charia*) concernant la résidence des musulmans dans des pays non musulmans en se basant sur des hadiths attribués au prophète notamment le hadith : «Je désavoue tout musulman qui persiste à séjourner au sein des polythéistes» pourquoi ô prophète ? «*Leurs deux feux (de la maison) ne doivent pas regarder l'un vers l'autre*» et le hadith : «*Celui qui fréquente un mécréant et habite avec lui est semblable à lui*.»

Il convient de s'arrêter à ces hadiths pour en déterminer d'abord l'authenticité du point de vue de la chaîne de transmission (*sanad*) et en cas de validité d'examiner la signification du texte et de la source pour voir si les inférences déduites de ces hadiths sont valables ou non.

Le hadith : «*Je désavoue (non responsable) tout musulman qui établit sa résidence parmi les mécréants.*» Ils (les compagnons) ont dit : «*ô messager d'Allah, pourquoi ?*». Il a dit : «*Leurs deux feux (de la maison) ne doivent pas regarder l'un vers l'autre*.(6)» a été compris par certains comme signifiant l'interdiction pour un musulman de vivre dans un pays non musulman. Les fatwa

(5) «Ceux qui ont fait du tort à eux-mêmes, les Anges enlèveront leurs âmes en disant : «Où en étiez-vous ?» (à propos de votre religion) - «Nous étions impuissants sur terre», dirent-ils. Alors les Anges diront : «La terre de Dieu n'était-elle pas assez vaste pour vous permettre d'émigrer ?» Voilà bien ceux dont le refuge est l'Enfer. Et quelle mauvaise destination ! A l'exception des impuissants : hommes, femmes et enfants, incapables de se débrouiller, et qui ne trouvent aucune voie : A ceux-là, il se peut que Dieu donne le pardon. Dieu est Clément et Miséricordieux.» [Sourate les Femmes, 97-99].

(6) Rapporté par Abou Daoud dans *Al Jihad* (2654).

dans ce sens se sont multipliées un peu partout dans le monde, imposant des restrictions à la résidence des musulmans en Europe ou ailleurs, alors même qu'une telle résidence est de plus en plus nécessaire pour des raisons d'études, de soins, de travail, de commerce, de diplomatie, ou pour fuir l'oppression, diffuser le message de Dieu, éduquer les nouveaux musulmans, renforcer leur foi, etc. Ceci est d'autant plus vrai que le monde actuel est devenu, comme disait un écrivain, un village planétaire, même si l'on constate que sur le plan matériel(7), il a plutôt rétréci pour devenir un tout petit village.

Ce hadith, sur lequel ces fatwa se sont basées et qui est rapporté par Abou Dâwud et Tarmîdhi d'après Jarir ibn Abdellah est un hadith *musnad* (dont la chaîne de transmission est composée de plusieurs rapporteurs) et *mursal* (discontinue ou précipité dont le lien entre le compagnon et le prophète est manquant). Annissaî ne l'a rapporté que *mursal* de même que Tarmidhi qui l'a d'abord narré en tant que *mursal* puis l'a rapporté d'après Al-Bukhâri en tant que *mursal sahih* (discontinue et authentique). C'est d'ailleurs la position adoptée par Abou Hâtim Ar-Razi et Ad-Daraqatni(8). Le hadith *mursal* ne constitue pas en science des fondements de la religion (*ilm al usûl*) un argument valide car il n'a pas la force d'un hadith authentique.

Le contexte de ce hadith est le suivant : le prophète a dépêché un bataillon à Khashâm dont certains membres demandèrent, en se prosternant la protection de Khashâm qui s'est empressé de les exécuter sur le champ. Le prophète en apprenant la nouvelle a ordonné qu'on ne leur octroie que la moitié de la *dhiya*(9) (prix du sang) et a dit : «Je désavoue tout musulman qui persiste à séjourner au sein des polythéistes» pourquoi ô prophète ? «Ils ne doivent pas apercevoir le feu de camp l'un de l'autre.» L'expression «*la tatara'a naruhuma*» dans ce hadith signifie qu'ils ne doivent pas vivre à proximité de sorte que l'un puisse apercevoir le foyer de l'autre.

Bien qu'étant des musulmans, le prophète ne leur a accordé que la moitié de la dhya (prix du sang), car ils ont nui à eux-mêmes en persistant à demeurer avec les associateurs qui combattent Allah et son messager, perdant ainsi le droit à la *dhiya* complète. Le prophète a été intransigeant pour ce type de résidence

(7) Car sur le plan moral, le monde est plus désuni qu'auparavant.
(8) Voir : *Al badr al-munir.*
(9) Expliquant la réduction à moitié de la dhiya, l'imam Al-Khattabi y va de ce commentaire : « c'est parce qu'ils ont choisi de vivre au milieu des mécréants. Leur cas s'apparente à celui qui a été victime d'un crime où lui-même partage la responsabilité avec le criminel. D'où la moitié de la *dhiya*», voir *Maâlim Al-Sunan*, (437/3), hadith (2530).

entraînant une renonciation à soutenir dieu et son messager. Dieu dit : «**Ceux qui ont cru, émigré et lutté de leurs biens et de leurs personnes dans le sentier d'Allah, ainsi que ceux qui leur ont donné refuge et secours, ceux-là sont alliés les uns des autres. Quant à ceux qui ont cru et n'ont pas émigré, vous ne serez pas liés à eux, jusqu'à ce qu'ils émigrent. Et s'ils vous demandent secours au nom de la religion, à vous alors de leur porter secours, mais pas contre un peuple auquel vous êtes liés par un pacte. Et Allah observe bien ce que vous œuvrez**» [sourate le Butin, 72].

Dieu a soustrait les musulmans qui n'émigrent pas alors que l'émigration (*hijra*) est obligatoire(10) du pacte d'alliance. Le sens du hadith : «Je désavoue tout musulman qui persiste à séjourner au sein des polythéistes» signifie qu'il n'est pas responsable du sang musulman qui a été tué parce qu'il a persisté à demeurer parmi ceux qui combattent l'islam et l'Etat musulman.

En clair, si les circonstances qui ont accompagné l'énonciation de ce texte et que les raisons qui justifiaient la règle induite par l'énoncé, qu'il s'agisse d'intérêt à faire valoir ou de tort à redresser venaient à changer, cette règle devient invalide ; la règle étant dépendante de sa cause(11).

Ce hadith est d'ailleurs renforcé par l'énoncé numéro 09238 du hadith rapporté dans le *Musnad* d'Ahmed d'après Jarîr : «*Je suis venu prêter serment d'allégeance au messager d'Allah et je lui ai dit : donne moi ta main et impose moi tes conditions, il a dit :«ne donne pas d'associés à Dieu, accomplis la prière, paie la zakat, donne conseil sincère à tout musulman et dissocie-toi de tout mécréant.*»

Je m'empresse pour dire qu'il s'agit pour moi d'un hadith faible narré par Abu Dawûd dans le Jihad (2787) d'après Sumra ibn Jundub, par la voie de Jaâfar ibn Saâd, d'après Khabib ibn Sulayman ibn Sumra, d'après son père, d'après Sumra et qu'il s'agit donc un isnad (chaîne de narration) faible.

Réflexion sur la signification des hadiths

En réfléchissant au contenu de ces hadiths on s'aperçoit de ce qui suit :

(10) La Hijra était obligatoire pour tous ceux qui se convertissaient à l'islam pour rejoindre le prophète et ses compagnons, apprendre sa religion, pratiquer son islam en toute liberté. Après la conquête de la Mecque, il n'y avait plus besoin d'émigrer à Médine ; le prophète a dit à ce propos : «Désormais il n'y a plus d'émigration après la conquête de (la Mecque). Rapporté par Boukhari dans le chapitre sur le jihad (2783) et par Muslim dans le chapitre sur Al-imâra (l'émirat) (1864), tenu de Aïcha et d'Ibn Abbas, que Dieu les agrée.

(11) Cf- notre ouvrage intitulé : *Dirâsa fi Maqassidi achariâa bayn al-maqâssid al kulliya wa annussûs al juz'iyya, pp. 168-170,* ainsi que notre ouvrage *: Fi fiqh al-aqliyyat al-muslim : Hayât al-muslimin wasata al-mujtamaât al-ukhra,* p. 38, Edition Dar al-Machrik, le Caire.

Premièrement, qu'il est question des «associateurs» et de «quitter les associateurs», à savoir les idolâtres, alors qu'il s'agit dans le sujet qui nous intéresse ici des gens du livre et plus particulièrement des chrétiens.

Deuxièmement, que le terme «associateurs» signifiait alors, les polythéistes belligérants, ceux qui avaient déclaré leur hostilité à l'islam et au messager de Dieu, qui s'étaient opposés par la force de l'épée à la *daawa* et avaient cherché à détourner les musulmans de leur religion en les torturant et expulsant afin de les forcer à renier l'islam.

C'est de ceux-là que l'islam appelle à se dissocier, et non des polythéistes pacifistes qui n'ont pas combattu les musulmans dans leur religion et ne les ont pas chassés. Dieu dit :

«**Dieu ne vous défend pas d'être bienfaisants et équitables envers ceux qui ne vous ont pas combattus pour la religion et ne vous ont pas chassés de vos demeures. Car Dieu aime les équitables. Dieu vous défend seulement de prendre pour alliés ceux qui vous ont combattus pour la religion, chassés de vos demeures et ont aidé à votre expulsion. Et ceux qui les prennent pour alliés sont les injustes.**» [l'Eprouvée, 8 et 9].

Troisièmement, Il faut s'entendre sur le sens de l'expression «quitter les associateurs» dans ces hadiths. Quel est le sens de «séparation» ici ? S'agit-il du sens propre ou du sens figuré ?

Si nous convenons qu'il s'agit du sens figuré, le mot signifierait alors quitter *Dar achirk* (terre du polythéisme) pour *Dar al islam* (terre d'islam), notamment si la vie du musulman dans *Dar achirk* est intenable. C'est ce qui ressort du hadith, rapporté par Bahz ibn Hakim : «…Ou il quitte les associateurs pour les musulmans», Il était en effet obligatoire pour quiconque se convertissait à l'islam de quitter son lieu de résidence et émigrer à Médine, et ce jusqu'à la conquête de la Mecque, l'avènement de l'islam, sa consolidation et la domination de la péninsule arabique par le prophète. Le prophète a dit à ce propos : «Désormais il n'y a plus d'émigration après la conquête de la Mecque, mais un jihad et l'intention pour le faire si vous êtes appelés à le faire.»(12)

De nombreuses narrations de ce hadith utilisant l'expression mot «*tabarra'a min al Kafir*» littéralement «être dissocié, non responsable de tout mécréant» abondent dans le sens de cette explication. Désavouer un mécréant ne veut pas dire quitter son domicile, mais désavouer sa croyance en plusieurs dieux, sa

(12) Hadith Al-Bukhari sur le chapitre d'Al-jihad (2783). Hadith faisant l'objet d'un accord commun.

négation de l'au-delà et le fait qu'il déclare licite ce qui est illicite. En témoigne l'appel lancé par le prophète à Héraclius et aux princes chrétiens et autres gens du livre qui se termine par le verset suivant : «O gens du Livre ! Convenons les uns des autres de ce point commun entre nous, à savoir de n'adorer que Dieu Seul, sans lui adjoindre d'associé, de ne pas nous prendre les uns les autres pour des divinités en dehors de Dieu, S'ils se détournent dites leur : «**soyez témoins, qu'à Dieu seul nous nous soumettons.**» [la famille d'Imrân, 64].

Propager l'islam et consolider la foi de ceux qui ont répondu à son appel

Un des arguments en faveur de la résidence des musulmans en terre non musulmane à des fins légitimes est que l'islam a imposé aux musulmans l'obligation de transmettre le message de Dieu au monde entier pour que Sa Clémence et son Pardon s'accomplissent grâce à l'envoi de son messager de la miséricorde. L'une des conditions pour y parvenir est de s'installer dans le pays de l'appel pour éduquer les convertis à l'islam et consolider leur foi, conditions nécessaire à la transmission de l'islam pratique à ces nouveaux convertis. Il est admis que ce qui permet d'accomplir une obligation est lui même obligation.

C'est d'ailleurs ce qui s'est passé tout au long de l'histoire musulmane. L'islam s'est étendu dans de nombreuses contrées et a imprégné la vie de leurs populations, y compris des pays qu'aucune armée musulmane n'a jamais foulés. L'islam ne s'y est implanté que grâce au comportement exemplaire des musulmans, à leur éthique et à leur bonne compréhension des préceptes de l'islam en toute simplicité, sans complication aucune.

On peut citer à ce propos de nombreux pays tels l'Indonésie et la Malaisie où l'islam a été introduit par les commerçants venu de Hadramaout et de ses environs. Ils n'étaient ni savants ni prédicateurs mais les populations les ont aimés et ont été attirées par leur religion s'y sont convertis en grand nombre. Ces musulmans sont restés dans ces pays, s'y sont mariés et sont devenus membres à part entière. Leurs descendants y vivent encore aujourd'hui en tant que citoyens originaires de ces pays.

Il en va de même pour de nombreux pays musulmans en Afrique où l'islam s'est propagé grâce à la cohabitation et à la mixité et grâce aux écoles soufis.

Si la règle absolue était donc l'interdiction de la résidence du musulman en terre non musulmane, l'islam n'aurait jamais pu s'étendre comme il l'a fait et nous aurions choisi volontairement d'empêcher son expansion.

En outre, il faut garder à l'esprit que l'islam a réservé aux Gens du Livre un traitement privilégié, grâces aux dispositions les concernant, les rapprochant plus des musulmans que les idolâtres. L'islam n'a-t-il pas en effet permis le mariage d'un musulman avec les femmes de religion monothéiste. N'est- ce pas là une position très avancée sur la voie de la tolérance très rare dans les autres religions ? Des liens familiaux entre le musulman et sa belle famille s'instaurent, ses enfants doivent avoir du respect filial pour leur mère et entretenir de bons rapports avec leurs grands parents, leurs oncles, tantes et cousins maternels. Dieu nous a ordonné d'entretenir les liens familiaux : «**Cependant, ceux qui sont liés par la parenté ont priorité les uns envers les autres, d'après le Livre de Dieu. Certes, Dieu est Omniscient**» [sourate le Butin, 75]

Ces rapports familiaux donnent l'occasion à ces enfants de vivre avec leur mère, leur grands parents, leurs oncles maternels, à condition que quelqu'un puisse se charger de leur éducation religieuse, de leur apprendre les préceptes de l'islam et que cette résidence ne constitue pas une menace pour leur religion.

Naturalisation et acquisition de la nationalité d'un pays européen

Nous avons vu précédemment comment certains savants musulmans ont remis en cause la résidence d'un musulman en terre non musulmane, terre qui se trouve de ce fait en dehors de «Dar al islam» Nous avons répondu à ces mystifications et les avons réfutées en nous basons sur les dispositions de la charia et nous avons démontré qu'il n' y a pas d'objection à la résidence d'un musulman en terre non musulmane du point de vue de la charia ? Cette résidence peut même constituer, sinon un ordre de recommandation, du moins un ordre obligatoire en fonction de sa finalité.

Une autre question se pose, lorsque l'on traite de cette résidence, celle de la naturalisation et l'acquisition de la nationalité de ces pays européens ; française, britannique, allemande etc.

Certes, ceux qui sont contre la résidence dans un pays non musulman ne peuvent que s'opposer à l'acquisition de la nationalité du pays d'accueil.

Certains prédicateurs (*duât*) se sont montrés intransigeants sur cette question et ont interdit au musulman l'acquisition d'une nationalité autre que musulmane. Cette question de la naturalisation en accédant à la nationalité d'un pays européen, a figuré à l'ordre du jour de la conférence théologique organisée par l'institut des Hautes Etudes islamiques et à laquelle ont participé d'éminents savants dont : Mustapha Zarqa, Sheikh Abdel Fatah Abu Gadda, Sheikh Mannaâ

Al Qattan. Au terme de ses travaux, la conférence a conclu que cette naturalisation est acceptable et a réfuté les mystifications des savants intransigeants.

Le professeur Hassan al Banna figure parmi ceux qui se sont opposés farouchement à l'acquisition d'une nationalité autre que celle d'un pays musulmane. Dans sa fatwa à ce propos il dit :

«La simple acquisition par un musulman d'une nationalité non musulmane est en soi un péché capital qui suscite le courroux de Dieu et encourt Son terrible châtiment comme en témoigne le hadith rapporté par Abou Daoud. D'après Anas : Le prophète a dit : «Celui qui s'attribue un lignage autre que celui de son père ou se donne une appartenance autre que celle de ses maîtres, encourra la malédiction d'Allah, de manière continue jusqu'au jour de la résurrection»[13]. De même que le verset coranique suivant : «**Que les croyants ne prennent pas, pour alliés, des infidèles, au lieu de croyants**» [la famille d'Imrân, 28]. Que dire alors si cette naturalisation entraîne des obligations et des droits qui invalident la loyauté entre les musulmans, détruit les liens qui les unissent et amène le croyant à prendre position en faveur du mécréant contre son frère musulman. Le musulman qui ne peut vivre dans ces pays que dans ses conditions a tout intérêt à les quitter ; la terre de Dieu n'est elle pas vaste. «**Et quiconque émigre dans le sentier de Dieu trouvera sur terre maints refuges et abondance**» [sourate les femmes, 100][14].

De mon point de vue, l'acquisition de la nationalité d'un pays non musulman constitue parfois une trahison de Dieu, de son prophète et des croyants. C'est notamment le cas dans la situation de guerre entre les musulmans et ceux qui combattent l'islam d'où la fatwa des oulémas tunisiens, émise sous l'occupation française qui considère les naturalisés français comme des apostats. En acquérant la nationalité française, le musulman troque la loyauté à son pays contre l'allégeance au colonisateur. Pour les oulémas, cette fatwa relative à l'apostasie des naturalisés, était une façon de lutter contre l'occupant, un moyen du jihad. En temps normal, la naturalisation permet au musulman devant émigrer dans un pays non musulman, d'y consolider sa position, d'être à l'abri des mesures d'expulsion de ses autorités, de pouvoir participer aux élections municipale, législative et présidentielle et de faire entendre sa voix. La

(13) Rapporté par Abou Daoud sur le chapitre d'Al-adab (5115), d'après Anas. Al-Albani l'a authentifié dans *Sahîh al-Jamiî* (5987).

(14) Revue «Les Frères musulmans», quatrième année, vol 4, p. 11, 5 mai 1936, le Caire, d'après une collection des écrits d'Al-Banna, livre 4, *Al-fiqh wa al-fatwa*, pp. 229-239.

naturalisation n'est ni un bien ni un mal en soi, elle doit être jugée en fonction des retombées positives ou négatives qu'elle aura sur les intérêts des musulmans.

Il convient néanmoins, et pour être tout à fait juste, de mettre la fatwa de Hassan El Banna et ses partisans dans son contexte historique et les conditions qui prévalaient alors. El Banna a pu se montrer intransigeant sur des questions que nous abordons nous aujourd'hui, avec plus d'indulgence, étant donné l'évolution du monde ; le rapprochement entre les gens et la transformation de certains pays colonisateurs injustes en alliés et partenaires des musulmans. Il faut rappeler également, que certains écrits d'El Banna ont été publiés alors qu'il était encore jeune avec tout ce que la jeunesse implique d'enthousiasme, de fougue, d'esprit de rébellion et d'excès dans la confrontation. L'âge n'influence-t-il pas, tout comme le milieu et le temps, nos agissements ? Personne n'a la science infuse, tout est matière à controverse, sauf bien entendu les paroles du prophète qui ne parle jamais en vain.

L'Occident accepte-t-il que les musulmans soient des citoyens comme les autres avec les mêmes droits ?

La majorité des études musulmanes sur l'intégration des minorités musulmanes en Occident et la notion de «citoyenneté» qui permettrait aux musulmans de vivre avec les populations originaires du pays d'accueil, de jouir des mêmes droits dont bénéficient facilement et sans complications les autres, en tant que citoyen, considèrent que l'obstacle à l'intégration et à l'acceptation de la citoyenneté réside dans les musulmans eux-mêmes. Ces derniers acceptent difficilement de s'intégrer aux autres. C'est notamment le cas de la première génération d'immigrés qui restent attachés à leur pays d'origine, suspicieux de toute intégration, souvent porteurs d'idées et de notions fausses qu'ils croient tenir de la vraie religion sans les avoir discutés avec d'éminents oulémas nourris d'authenticité et de modernité.

C'est tellement vrai que le Conseil européen de la fatwa et des recherches n'a cessé, depuis sa création et à chacune de ses sessions, d'appeler les musulmans à s'intégrer dans leurs pays d'accueil à ne pas s'isoler et se refermer sur eux-mêmes et d'œuvrer de façon constructive au progrès du pays d'accueil, et à son développement. Ils mettraient ainsi en évidence l'importance de leur action, de leur sérieux et de leur dévouement à la promotion des intérêts de leur pays d'accueil tout en restant attachés à leur croyance et à leur culte, à leurs valeurs, leur morale et leurs traditions qu'impose leur religion. Alors seulement cette équation, à savoir la droiture sans repli et l'intégration sans aliénation, que d'aucuns trouvent tellement complexe, devient possible.

Voilà donc la position de la science et de la pensé islamique sur la question de l'intégration et de la citoyenneté des minorités musulmanes en Europe et en Occident en général. Mais, en général, les savants et chercheurs musulmans ont omis d'aborder la position de l'Occident quant à l'acceptation de la citoyenneté des musulmans et leur intégration. Il était admis que l'obstacle à l'intégration des musulmans réside dans les musulmans eux-mêmes et que l'Europe et l'Occident n'avaient aucune objection. La philosophie libérale en Occident, en Europe et en Amérique du Nord en particulier, encourageait l'intégration des musulmans et leur accordait les mêmes droits garantis à tous les autres immigrés de race blanche. Il n'y avait en principe aucune différence entre les blancs et les noirs. L'homme, en tant qu'être humain, jouit des droits de l'Homme indépendamment de la couleur de sa peau, de ses yeux, de la forme de son nez, de sa tête de la texture de ses cheveux. Cette tendance était conforté par le fait que les premières vagues d'immigrés ne se souciaient que d'améliorer leurs conditions de vie et ne s'intéressaient pas à l'islam, ni en tant qu'idéologie ni en tant que pratique.

Ces dernières années, à la suite du renouveau de l'islam, et plus particulièrement après l'événement du 11 septembre 2001, les choses ont beaucoup changé. Les musulmans font face à un traitement spécial empreint d'injustice. Ils sont provoqués, humiliés, voire maltraités tout simplement parce qu'ils sont musulmans.

Ce changement est dû aux politiques des gouvernements au pouvoir, celle du président américain Georges Bush et de la droite chrétienne et sioniste aux Etats Unis, du Premier ministre britannique Tony Blair, d'Angela Merkel en Allemagne et de beaucoup d'autres. Il est également du, en grande partie, au lobby sioniste qui n'a cessé de fournir aux services de renseignements des pays occidentaux des informations erronées et crées de toute pièces sur les musulmans et d'exagérer l'importance des fondamentalistes et des extrémistes, en faisant croire qu'ils représentent la majorité des musulmans alors qu'ils ne sont qu'une poignée rejetée par la masse des musulmans. Il n'est donc pas étonnant de trouver des partis d'extrême droite en Europe qui inscrivent dans leurs programmes leur haine des immigrés, leur volonté, sinon de les chasser et de nettoyer le pays de leur présence, du moins les marginaliser pour qu'ils n'aient aucun rôle à jouer dans la société.

Ce changement d'attitude envers les musulmans est parfois dû au changement de la «philosophie» dominante qui influe sur l'opinion publique et dont les medias se font l'écho et la diffusent.

L'émergence de philosophies rétrogrades en France

Ce qui se passe en France «pays des libertés», «berceau du libéralisme» et «bastion des droits de l'homme» est un exemple édifiant de ce changement.

Des voix s'y sont lévées pour critiquer la philosophie ancienne considérée utopique et coupée de la réalité et appeler à une nouvelle pensée qui rompt avec ces philosophies anciennes qu'ils considèrent comme des idées reçues et des croyances fausses ayant induit les français en erreur. Les chercheurs considèrent qu'il s'agit d'une philosophie rétrograde qui ne vise qu'à ramener la France à l'ère de l'obscurantisme en contradiction avec à la pensée des Lumières telle qu'illustrée par Rousseau et Voltaire et de la liberté et de l'humanisme telle qu'illustrée par Sartre, Althusser et Foucault.

L'écrivain tunisien Lasâad Elouaer a publié deux articles dans le journal tunisien *Assabah* (3-4 : 4 : 2007) qu'il a intitulés «Interrogations sur la philosophie moderne en France» où il a fait le point sur ce courant de pensée rétrograde incarné par Alain Finkielkraut, qui est passé de l'extrême gauche à l'extrême droite, et certains de ses partisans comme Bernard-Henri Levy et André Glucksmann.

Ce philosophe a qualifié ce nouveau courant d'ultraconservateur. Il y attaque la pensée de gauche et du mouvement progressiste auquel il avait appartenu auparavant et dénonce le mythe et l'illusion de l'égalité absolue entre les races, les classes et les individus.

Dans son livre intitulé : *la défaite de la pensée*, il expose son courant radical critique de la philosophe et de la culture contemporaine qu'il qualifie de libertaire et dépravée, notamment son échec à comprendre la réalité des problèmes sociaux de l'Occident moderne, la diversité culturelle de la France, le problème du chômage et l'échec scolaire.

Lorsqu'il s'agit de parler le l'échec des arabes et des africains immigrés à «s'adapter» au mode de vie occidental français, Finkielkraut et Glucksmann n'expliquent pas cette discrimination par la pression sociale et économique que ces minorités subissent mais par «la mentalité symbolique» arabe ou africaine qui ne peut «s'adapter» à la mentalité occidentale scientifiquement et politiquement avancée.(15)

C'est à croire qu'il remet au goût du jour la théorie de la supériorité des races, «la supériorité de l'homme blanc créé pour régner et dominer sur les autres races qui ne sont là que pour suivre et être guidées par lui. Théorie ascientifique enterrée et réfutée par les principes qui ont établi l'égalité entre les êtres humains au niveau de la raison, de l'esprit et de tous les attributs de l'être humain.

(15) Lasâad Elouaer, «tasa'ulat hawla al-falsafa al mu'asira fi faransa» (Interrogations sur la philosophie moderne en France) in le quotidien tunisien *Assabah*, (3-4 : avril 2007).

En tout état de cause, c'est cette pensée que les médias en France, à l'instar des médias occidentaux, diffusent. L'Occident après avoir été une force d'attraction pour les musulmans est devenu une force qui les rejette et ne les supporte pas, à telle enseigne qu'il donne à nouveau raison à l'adage de l'écrivain occidental : «L'Orient c'est l'Orient, l'Occident c'est l'Occident et jamais ils ne se rencontreront»

Un temps de réflexion

Mais par souci d'honnêteté et pour dire la vérité, nous devons nous arrêter quelqu'un instant pour bien réfléchir à la question. La pensée de ces «ultraconservateurs» représente elle l'opinion publique en Europe et en Amérique ? Ou s'agit-il de l'opinion d'une catégorie particulière aveuglée par l'extrémisme, qui n'a pu dépasser la surface des choses pour comprendre en profondeur l'homme et le monde qui l'entoure, de considérer l'homme en tant qu'être humain ayant la même essence quel que soit le pays, la couleur et la langue et quels que soient la classe et le niveau ?

Je reste assez convaincu que c'est bien la vision humaniste qui va triompher au final, la pensée universelle qui ne focalise pas sur ce qui fait la différence entre les personnes mais sur ce qui les réunit est qui constitue le socle le plus important. Dieu a dit : «**[l'] écume provenant de ce qu'on porte à fusion dans le feu pour [fabriquer] des bijoux et des ustensiles va au rebu, tandis que [l'eau et les objets] utiles aux hommes demeurent sur la terre. Ainsi Dieu propose des paraboles.**» [le Tonnerre, verset 17].

La réalité impose ces constats : Les musulmans font maintenant partie de la réalité européenne. Ils sont présents dans de nombreux parlements européens, dans la Chambre des Lords britannique et au Congrès américain. Ils sont membres de partis politiques au pouvoir ou dans l'opposition. Il y a même parmi eux des ministres. Il n'est plus possible ni utile, d'une quelconque façon que ce soit, de penser à supprimer la présence musulmane en Europe, en Amérique, d'autant plus qu'il s'agit souvent de musulmans occidentaux de souche et non issus de l'immigration.

La diversité, une richesse en soi, doit persister car l'univers entier est fondé sur le phénomène de la diversité ou encore ce que le Coran nomme «variété des couleurs»[16]. C'est ce qui permet le brassage des cultures, et l'interaction entre les

(16) En référence à la parole de Dieu : «Et parmi Ses signes la création des cieux et de la terre et la variété de vos idiomes et de vos couleurs. Il y a en cela des preuves pour les savants» (Les Romains, 22) et : «N'as-tu pas vu que, du ciel, Dieu fait descendre l'eau ? Puis nous en faisons sortir des fruits de couleurs différentes. Et dans les montagnes, il y a des sillons blancs et rouges, de couleurs différentes, et des roches excessivement noires.» (Le Créateur, 27).

civilisations qui s'enrichissent mutuellement. Toutes ces civilisations n'ont-elles pas la même origine humaine ? «**Ô hommes ! Craignez votre Seigneur qui vous a créés d'un seul être, et a créé de celui-ci son épouse, et qui de ces deux-là a fait répandre (sur la terre) beaucoup d'hommes et de femmes. Craignez Dieu au nom duquel vous vous implorez les uns les autres, et craignez de rompre les liens du sang. Certes Dieu vous observe parfaitement.**» [Les femmes, verset1].

L'après - 11 septembre : une période exceptionnelle

La période d'après le 11 septembres 2001 ne doit pas annuler l'histoire tout entière ni hypothéquer l'avenir. Il s'agit d'une période exceptionnelle qui arrivera à terme et les choses reprendront leur cours normal.

Les musulmans qui vivent en Europe et également aux Etats Unies devront faire preuve de patience pendant cette période et supporter toutes les contraintes et tous les inconvénients qu'elle entraîne. Ils doivent montrer qu'ils sont porteurs d'un message universel et qu'ils disposent de valeurs et d'une morale religieuses qui leur permettent de vivre en bons croyants et de cohabiter avec les peuples de ces pays, d'autant plus que les musulmans les considèrent comme des Gens du Livre et que l'islam leur a réservés un traitement de faveur contrairement aux autres non musulmans. L'islam n'a-t-il pas autorisé le musulman à épouser une non-musulmane et à s'apparenter à sa famille.

Le musulman qui connaît bien sa religion n'a de ce fait aucune difficulté à s'intégrer dans la société occidentale, à se mélanger avec sa population et à s'y adapter sans pour autant renoncer à sa religion, et en respectant ses devoirs envers Dieu et en évitant tout ce que Dieu a prohibé.

Les sociétés occidentales actuelles sont devenues des sociétés laïques, et ce depuis leur confrontation avec le pouvoir religieux représenté par l'Eglise qui avait pris parti pour l'immobilisme contre la liberté et l'obscurantisme contre les lumières, les mythes contre la science, le féodalisme contre la paysannerie, les monarques contre les peuples. Il n'est donc pas étonnant de voir la masse populaire se révolter contre ce pouvoir de l'Eglise et lui ôter tout pouvoir temporel le limitant au pouvoir spirituel séparant ainsi la religion de l'Etat et de la société. L'intérêt de ces sociétés résidait dans le choix du principe de la laïcité. Nos sociétés, en revanche, n'ont jamais eu besoin d'un tel choix, leur situation est tout autre et leur histoire n'est pas la même.

Il est communément admis que la laïcité libérale est «neutre» vis-à-vis de la religion. Elle n'est ni pour ni contre. Ce qui signifie que le musulman peut vivre sa croyance, pratiquer son culte, accomplir ses devoirs religieux sans

aucune contrainte ni pression. Il s'agit de la liberté religieuse telle que stipulée dans tous les codes et chartes des droits de l'homme.

Il ya d'autres laïcités qui ne sont pas neutres vis-à-vis de la religion. Elles interviennent souvent en total opposition avec le principe de la liberté religieuse et individuelle, deux libertés consacrées par différentes philosophies et lois.

La question du voile en France

Ce qui s'est passé en France concernant le «voile» des musulmanes et notamment des lycéennes et leur interdiction d'accéder au lycée avec le voile témoigne de ce manque de neutralité. L'argument est de présenter le voile comme un symbole religieux et de dire qu'en tant que tel il est interdit au lycée, pour éviter tout signe religieux distinctif.

J'ai eu l'occasion de réfuter cet argument en expliquant que le voile n'est absolument pas un symbole religieux car est symbole religieux tout ce qui n'a d'autre fonction que l'affichage de son appartenance religieuse par la personne qui le porte, tout le crucifix. Le voile quant à lui, a une autre fonction bien précise, celle de cacher une partie du corps de la femme à savoir la tête, le cou, le haut de la poitrine, parties que l'islam a interdit à la femme de découvrir devant les hommes et les étrangers. La musulmane n'est pas tenue de porter le voile devant les femmes et les mahrams (hommes qu'elle ne peut épouser) alors que le symbole religieux est porté devant les hommes et devant les femmes sans distinction.

Lorsque l'affaire du voile a pris de l'ampleur en France j'ai écrit à Jacques Chirac alors président de la France lui expliquant qu'interdire à la musulmane le port du voile est une violation aux principes de la Révolution française : liberté, fraternité et égalité.

Cette interdiction enfreint la liberté religieuse dans le sens où elle oblige la musulmane à aller à l'encontre des préceptes de sa religion et du Coran qui a précisé : «**Qu'elles rabattent leur voile sur leurs poitrines ; et qu'elles ne montrent leurs atours qu'à leurs maris…**» [la Lumière, verset 31].

Elle enfreint la liberté individuelle dans le sens où elle interfère avec le choix vestimentaire de la femme. Pourquoi obliger la femme à retirer le voile alors même que l'on admet d'autres styles vestimentaires y compris ceux où la femme est à moitié dévêtue telle la mini-jupe ou la micro-jupe.

Cette interdiction transgresse le principe de «fraternité» car elle donne à la musulmane le sentiment d'être persécutée à cause de sa religion et obligée d'enfreindre les ordres de Dieu. Elle voit que les autres ont le droit de s'exhiber

alors qu'elle n'a pas le droit à la pudeur et à la décence, et est incommodée et mal à l'aise dans la société. La fraternité telle que la Révolution française la prévoit n'est pas, de ce fait, concrétisée.

La violation du principe de «l'égalité» est flagrante. Car comment peut-on parler d'égalité entre une lycéenne qui met ce qui lui plaît pour aller à l'école et une autre à qui l'on impose un style vestimentaire que si elle ne l'a n'accepte se voit exclue de l'école.

Position du Conseil européen de la fatwa

Le succès de nos frères musulmans en Europe est d'avoir compris leur époque. Ils ont compris que le temps est aux institutions et non aux individus quel que soit leur génie, que les individus passent et les institutions demeurent.

Ils ont donc construit des mosquées, des écoles, des instituts, des clubs et des associations pour répondre à leurs besoins multiples et variés, matériels, spirituels, intellectuels, sociaux, économique, sportifs et récréatifs.

Parmi ces institutions le Conseil européen pour la fatwa et la recherche qui est venu répondre à un manque dans le traitement théologique des problèmes nouveaux des minorités musulmanes qui peuvent différer de ceux des autres musulmans et qui demande une jurisprudence particulière, partielle ou complète, sélective ou exhaustive, individuelle ou collective. Le Conseil de par sa composition diversifiée, représente ce type de jurisprudence collective et spécialisée et aide les musulmans en Europe à vivre leur religion et leur éthique en cohabitant avec leurs voisins non musulmans, sans délaisser les préceptes de leur charia, et en restant attachés aux fondements, focalisés sur les finalités et œuvrant pour la satisfaction de Dieu.

Dès sa création(17), le Conseil européen de la fatwa n'a cessé d'inciter les minorités musulmanes dans tous les pays à participer au progrès de ces pays et de s'y considérer comme partie prenante, d'y vivre en toute sincérité et en toute loyauté avec ses populations tout en restant attachés à leurs valeurs, fiers de leur croyance sans excès ni exagération et dans le respect de la parole de Dieu : «**Et aussi Nous avons fait de vous une communauté de justes pour que vous soyez témoins aux gens, comme le Messager sera témoin à vous.**» [la Vache, 143].

(17) Le Conseil européen pour la fatwa et la recherche a été fondé en 1997. Basé à Dublin, en Irlande, ce Conseil est présidé par Dr Youssef Qaradaoui. Son secrétaire général est le cheikh Hussein Mohammed